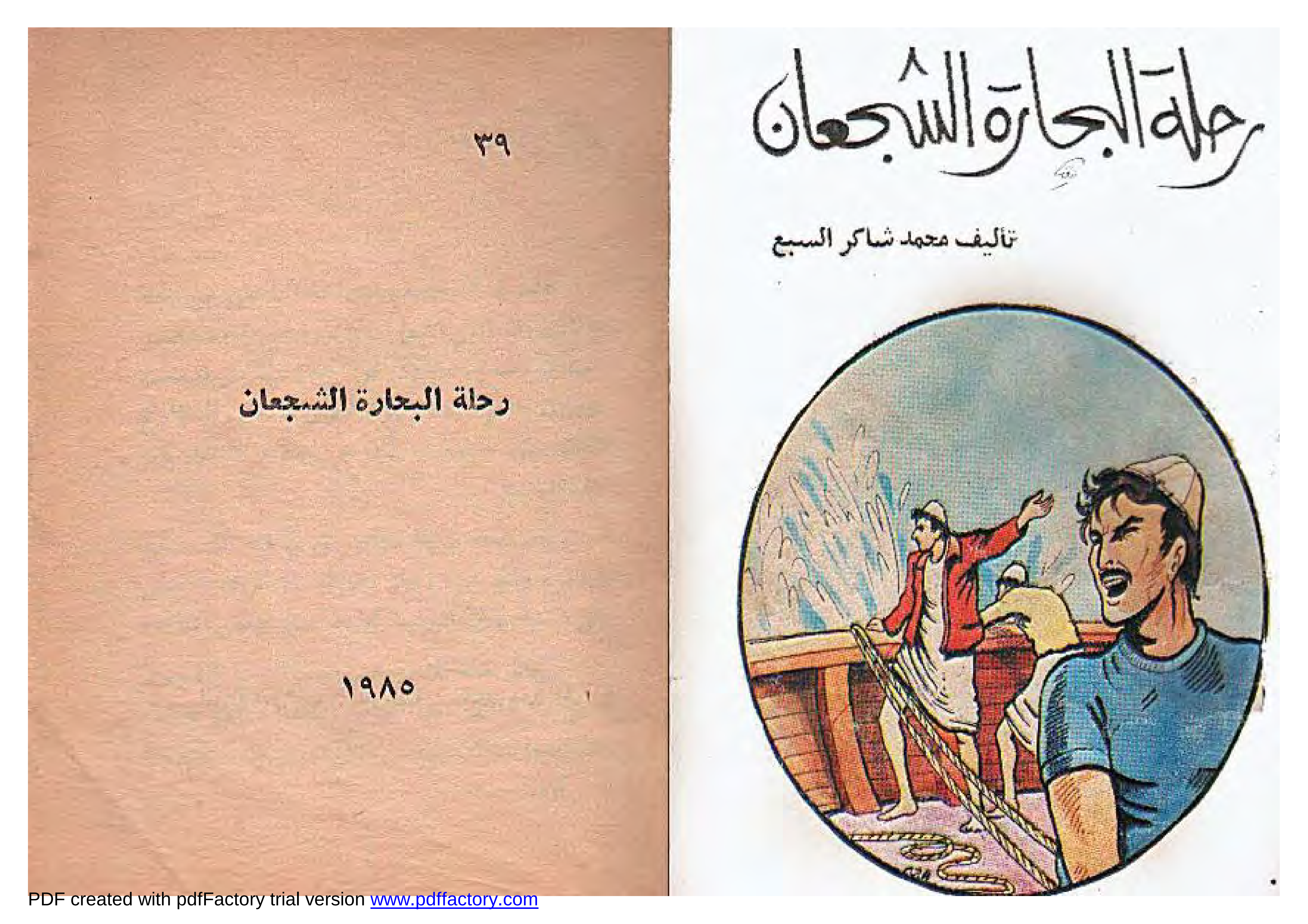


رحلة البحارة الشجعان

تأليف محمد شاكر السبع

٣٩

رحلة البحارة الشجعان

١٩٨٥

الغلاف والصور الداخلية : ماجد وعد الله

هذه قصة حقيقية وقعت احداثها على نهر دجلة في الشهر السادس الذي تلا ثورة ١٩٤١ .. ونهر دجلة في ذلك الوقت كان نهرا جبارا ، لا يمر موسم دون أن يحطم ضفافه ويغرق القرى والمدن والمزارع الكائنة على جانبيه .. كان نهرا جموحا لا سد يقف أمام غليانه ..

وكان دجلة طريقا ملاحيا تجري فيه السفن البخارية والشراعية ، ولم يكن رحيما مع هذه السفن على الدوام ، بل كثيرا ما كان يغرق البعض منها ..

وأبطال هذه القصة خمسة من النوتية الشجعان الذين مخروا نهر دجلة الجامح بسفينة شراعية قديمة، حاملين فيها شحنة مهمة كان الانكليز يبحثون عنها بلا هوادة ...

- ١ -

في غرفة تكاد تكون معزولة في ثكنة العمـــارة اجتمع ضابط برتبة نقيب باثنين من الملازمين .. كانت الغرفة شبه مظلمة ، والهواء البارد يدخل من النوافذ غير المحكمة الغلق .. ومضت فترة طويلة حين سمع الثلاثة وقع أقدام خافتة تقترب من الغرفة ... وقفوا للقادم الذي أشار بيده ردا على تحية تكاد تكون غير مرتبـــة .

جلس وراء المنضدة التي تقع في صـــدر الغرفـــة، ونفخ في يديه .. ثم قال :

ـ يا له من برد قـــاتل .

ولم يعلـــق أحد من الضـــباط الثلاثة بشيء .. وأردف قائـــلا :

ـ هذا طبيعي فنحن الان في تشرين الثاني .

كان الضباط الثلاثة على وشك ان يفقدوا الصبر •• وبدا لهؤلاء الضباط ان القادم لم يتخل عن معطفه الطويل ، وتحرك النقيب في مكانه ، ثم قال :

ـ هل الوثائق جاهزة سيدي ؟

ـ نعم ، وينبغي أن تصل الى المكان المحدد دون أن تقع في أيدي الانكليز ••

ـ هذا مؤكد سيدي

ـ ما معنى مؤكـــد ؟

ـ لقد وضعنا الخطـة التي اطلعتم عليها ، وقمنا بجميع الاجراءات ، ولم يبق الا التنفيذ سيدي •

ـ وما هي الاجراءات التي اتخذتموها ؟

ـ اخذنا سفينة شراعية قديمة وخمسة ملاحين من الشجعان • فتفتيش السفن الشراعية من قبل السلطات الانكليزية يكاد يكون نادرا سـيدي •

ـ وهل يعرف هولاء الملاحون ماذا يحملـون؟

ـ لا ســيدي

ـ اذن ، من يحملهـا ؟

ـ أحد جنودنا الشـــجعان الذي يجيد مهنـة الملاحـة جيـدا

ـ والملاحون الخمسة ، ألا يشكون بهذا الملاح الجديـــد

ـ لا ياسيدي ، فهو سيقوم بدور صاحـــب الحمولة التي تنقلها هذه السفينة •

ـ وما هي هذه الحمولة ؟

ـ شحنة من الطابوق سيدي

وهب الضابط الكبير واقفا وهويقول باندهاش:

ـ ماذا ؟ ما معنى هذا ••

فقال النقيب بهـــدوء :

ـ ان حمولة الطابوق ستغش جميع من يشـك بهذه السفينة •• أنت تعلم اذن السلطات الانكليزيـة لديها المعلومات الدقيقة ان هذه الوثائـق وصلـت العمارة ، ويجب أن تصل الى البصرة ، فهل يعقل ان سفينة شراعية قديمة تحمل الطابوق ووثائق الثورة •

مسح الضابط الكبير وجهه بكلتا يديه ، وخرج من وراء المنضدة ، وأخذ يتمشى ذهابا وايابا فـــي الغرفة ، فيما وقف الضباط الثلاثة على أقدامهـم • توقف، عن الحركة وقال هامسـا :

— ان هذه مخاطرة كبيرة ، أنتم تعلمون ان هذه الوثائق تضم معلومات خطيرة ، اضافة الى اسماء ضباط كثيرين لم تكشف أسماؤهم أثناء التحقيقات. ماذا لو سقطت هذه السفينة بأيدي السلطات الانكليزية ؟ .. ماذا لو غرقت هذه السفينة القديمة وهي بهذه الحمولة الثقيلة ؟ .. ثم لماذا شحنا الطابوق ؟

وأجاب النقيب قائلا :

— الجميع يعلم ان مدينة البصرة تشتري الطابوق من معامل العمارة سيدي .

— أعرف ذلك .

— والسلطات الانكليزية تفتش كل وسائط النقل على الطريق البري و ..

وقاطعه الضابط الكبير قائلا :

— والطريق النهري ؟

— تفتشه ايضا .. ولكن البواخر الصغيرة السريعة سيدي

— لماذا الصغيرة السريعة ؟

— لان السلطات الانكليزية تعتقد ان هذه

الوثائق يجب أن تنقل سريعا الى البصرة سيدي. بينما سننقلها ببطء ياسيدي .

— ولنفترض ان مسؤولا انكليزيا يحمل نفس ذكائنا وتوصل الى اننا ننقل هذه المعلومات بشكل بطيء ؟

فقال النقيب باعتداد :

— هناك احتمال واحد بالمليون للعثور على الوثائق سيدي .

اكيف ؟

— لان هذه الوثائق ستكون في مكان لايخطر على بال ، ثم ان الكثير من السفن الشراعية تحمل شحنات الطابوق سيدي ..

— ماذا تعني ؟

— ستنطلق خمس سفن شراعية وثلاث سفن تجارية محملة بالطابوق ، كل يوم سفينة ، واحدى هذه السفن الشراعية هي التي تحمل الوثائق سيدي .

عاد الضابط الكبير للجلوس وراء المنضدة ووضع رأسه بين يديه .. وقال :

ـ الا يثير هذا العدد الكبير من السفن المحملة بالطابوق شكوك السلطات الانكليزية ؟

ـ كلا ياسيدي .. فتلك السفن الاخرى لا شأن لنا بها ، انما لتجار في البصرة ، ثم ان مرور السفن المحملة بالطابوق مظهر عادي بين العمارة والبصرة .

وبعد صمت قصير قال الضابط الكبير :

ـ انها مهمة خطيرة ، أرجو أن تتم بنجاح .. والسفينة متى تنطلق .

ـ غدا في الفجر سيدي ..

ـ وأين الجندي ؟

ـ انه ينتظر في الخارج

ـ هل عرف مهمته

ـ نعم سيدي

ـ اذن ، استدعه .

وقام أحد الملازمين وخرج من الغرفة ، ثم عاد ووراءه جندي طويل القامة .. وفي ضوء الغرفة الشاحب أدى التحية للضباط ، وخضع لاسئلة الضابط الكبير الذي بدأها قائلا :

ـ هل عملت على السفن الشراعية ؟

ـ نعم سيدي

ـ كم سنة ؟

ـ منذ عشر سنوات سيدي

ـ وهل تعرف النهر جيدا بين العمارة والبصرة ؟

ـ أحفظه عن ظهر قلب سيدي

ـ هل تعرف خطورة المهمة التي تقوم بها ؟

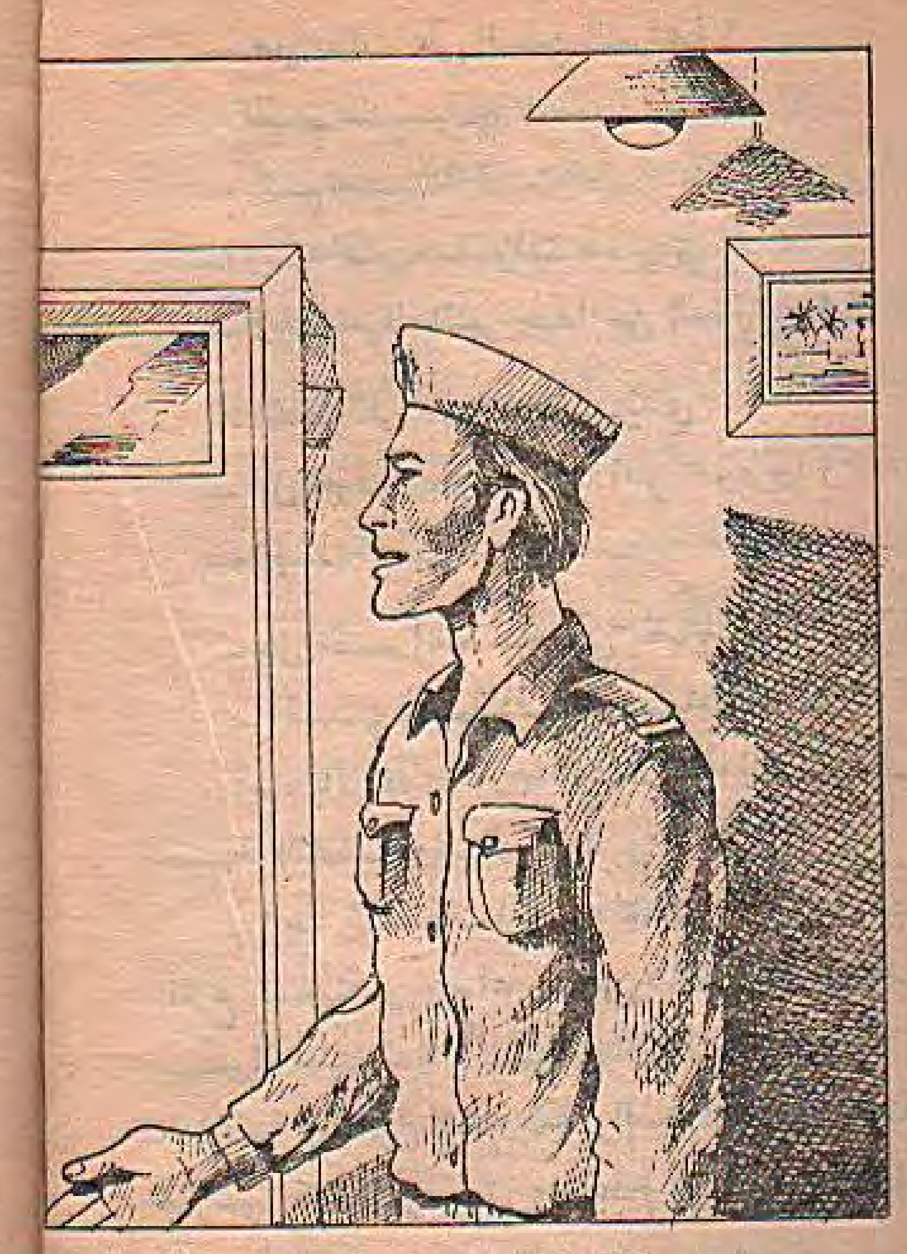
ـ نعم سيدي

ـ هل تقسم انك ستضحي بحياتك من أجلها ؟

ـ أقسم على ذلك سيدي .

وأمره بالانتظار خارج الغرفة . والتفت الى الضباط الثلاثة وقال :

ـ اعطه التعليمات اللازمة لتسلم الوثائق قبل اقلاع السفينة بربع ساعة . ومن هنا الوقت والى موعد التسليم سيظل صندوق الوثائق في حوزتك أيها النقيب ، وستقوم أنت وهذان الضابطان بهذه المهمة .. وأرجو لكما التوفيق والنجاح من أجل الوطن والشعب .



وفي ضوء الغرفة الشاحب ادى التحية للضابط

فتح أزرار معطفه واخرج صندوقا حديديا صغيرا سلمه للنقيب الذي سلمه بدوره لاحد الملازمين ، وأدوا التحية للضابط الكبير الذي غادر الغرفة •

في الربع الاخير من الليل ، كان هناك فتى طويل القامة يرتدي الملابس المدنية يتسلم صندوقا حديديا صغيرا من ثلاثة رجال بالملابس المدنية أيضا في بستان جاني •• اختفى الرجال الثلاثة بسرعة ، وسار الفتى الطويل القامة باتجاه النهر حيث تقف سفينة شراعية محملة بالطابوق على ساحل النهر •

صعد الى السفينة وسار على حافتها بخفة وحذق واختفى في الظلام الذي يلف السفينة ومع غبش الفجر ظهر في منتصف السفينة ، تلفت يمنة ويسرة، وسار على حافتها باتجاه المقدمة • ثم هبط سلما صغيرا قاده الى غرفة الملاحين الذين مازالوا يغطون بالنوم •• أيقظهم بصوت مرح •• وصاح أحدهم •

ـ انه علي صاحب شحنة الطابوق •• لنفطر أولا ثم نقلع ثانية ••

واستيقظ الاربعة وصعدوا الى ظهر السفينة واحدا وراء الاخر .. وظل علي وحيدا في الغرفة ، ولم يكن يحمل اي صندوق . وبعد وجبة الافطار ابتعدت السفينة عن الشاطىء ببطء .

— ٢ —

كان ذلك الفجر بلون الرصاص . وكانت الرياح رخية عندئذ أصدر النوخذة أمره برفع الشراع الكبير ، فأنطلق البحارة الاربعة للعمل، وقال احدهم وهو رجل قوي الجسم داكن السمرة .

— وعلي ، ألا يشاركنا العمل ؟

فقال النوخذة :

— انه الان مازال ضيفنا ، وسيلتحق بالعمل عند الظهر

وارتفع الشراع الكبير تدريجيا على السارية الطويلة التي تتمايل مع تمايل السفينة . وكان البحارة الاربعة يسمعون أصوات الامواج وهي ترتطم بالضفاف . كان سالم وهو النوخذة يتابع

عمل البحارة وهو ممسك بالدفة .. في هذا الفجر مزاجه رائق ، فالرياح الرخية فأل حسن مع هذه الحمولة الثقيلة التي تنوء بها سفينته العتيقة ، ومع ذلك كان راضيا ، اذ مر عليه وقت طويل دون ان يفوز بشحنة للنقل .. غير ان هذا الفتى علي أثار اعجابه وشكوكه .. كان سالم يفكر بطريقة النوخذة الماهر المجرب .. هو مالك لشحنة الطابوق هذه، ولكنه عرض عليه أن يرافق هذه الشحنه .. لماذا ؟.. ان هذا الامر لم يحدث سابقا ..

وهذا التساؤل طرحه البحارة الآخرون ايضا ، فهم منذ زمن طويل يقطعون بهذه السفينة العجوز المساحات المائية الطويلة ناقلين الخضروات والحبوب والحيوانات ، الا ان أحدا من أولئك المالكين لم يرافق شحنته .. واختفت هذه التساؤلات حين قال علي له وللبحارة :

لقد عملت بحارا زمنا طويلا ، ثم تركت هذه المهنة ــ انني في شوق للعودة اليها .. ثم انني سأربح أكلي وأجرتي خلال هذه الرحلة .

ابتسم النوخذة سالم لهذا الفتى الطويل القامة الذي يبدو انه يعرف مهنة الملاحة جيدا ، كما استقبله البحارة بود فهو ، على أية حال ، زميل لهم في المهنة .. وفي هذا الفجر سأل جاسم البحار عن علي ومشاركته للبحارة في عملهم ..

وضع النوخذه عصا الدفة تحت ابطه وأخرج علبة تبغه ولف سيجارة ثم أشعلها .. انه يشعر بالارتياح لهذه الرحلة التي بدأت معها الرياح الرخية .. انه في هذه الرحلة ربح بحارا جديدا يساعد بحارته الاربعة ، وكان النوخذة على حق ، فليس من السهولة العثور على بحار في هذا الوقت من العام . ان موسم الشتاء يجعل الكثير من البحاره يبحثون عن مهن أخرى ، أو يركنون الى الراحة ، فالحوادث المريعة لاتقع الا في هذا الموسم .. وابتسم النوخذه سالم وهو يسمع صرير حبال الشراع واهتزاز السارية على قاعدتها .. ثم نظر الى حمولته التي ملأت أحواض سفينته .. انه سعيد جدا في هذا الصباح ..

ومر به جاسم وهو يحمل حبلا غليظا ملفوفا ..
قـــال :
ـ يا لك من خباز رديء .
وابتسم جاسم ثم قال :
ـ اذن ، اخبز أنـت
واحتـج سالم قائـــلا :
ـ أنا النوخذة فكيف أفعل ذلك ؟
في هذا الاثناء خرج علي من الغرفة الامامية .. كان قد تخلص من معطفه ، وبدا في ملابســه التي ارتداها بحارا مثل الاخرين .. وسار على حافــة السفينة بخفة جعلت النوخذه والبحار جاسم يصدقان انه بحار ماهر .. في منتصف المسافة توقف ، ونظـر الى الشحنة ، ونزل الى الحوض وقام بتعديل صف مائل من الطابوق .. وعلق النوخذة :
ـ هذا عمل تخلصنا منه .. انه بحار وصاحب الحمولة . انظر اليه كيف يعتني بها ؟
وقال جاسـم :
ـ هذا عمل ينبغي أن يقوم به وحده

عاد علي مرة آخرى الى سطح السفينة .. اتجه الىحيث النوخذة والبحار جاسم..حيا الاثنين وقال:
ـ لو ظلت الرياح هكذا فانها ستكون رحلــة ممتعـــة
وقال جاســم :
ـ لندعو الله ألا تغير الرياح سرعتها .
وصرت حبال الشراع صريرا قويا فنظر الثلاثـة الى قاعدة السارية ، وعلق علي قائــلا :
ـ يبدو ان حبال العتلات شدت شدا قويا جدا
وتساءل النوخذة قائلا :
ـ أتعتقـد ذلـك ؟
ـ انظر الى ذلك الحبل .. ان الشراع سـيجد صعوبة في الاستدارة
وقال جاســـم :
ـ ليس هناك أي خطر فالرياح بطيئة جدا
وســـأل علي :
ـ واذا اشـــتدت ؟
ولم ينتظر جوابا ، بل انطلق بسرعه الى حيــث قاعدة السارية ، وبدأ في ارخاء حبال العتلات التــي

تسمح للشراع بالاستدارة حين تستدير السفينة مع التواء النهر ، بحيث تظل الرياح تدفع بالشراع .. كانت يداه تعملان بسرعة ومهارة . وبعد ان انتهى خفت حدة الصرير .. وقال النوخذة .

ـ ياله من بحار ماهر

وأضاف جاسم قائلا :

ـ هذا الفتى سيذلل لنا الكثير من الصعاب .

وعند الضحى انتهى البحارة من جميع الاعمال التي ترافق انطلاق السفينة ، فقد اودعوا الحبال في أماكنها ، وهيأوا الاغطية اللازمة تحسبا للمطر ، وفحصوا الاشرعة المتوسطة والصغيرة وأعدوها للعمل في حالة تغير سرعة الرياح .. واجتمع البحارة في مؤخرة السفينة قرب النوخذة الذي يدير الدفة .. كان جاسم قد أعد للبحارة شايا .. هذا هو موعد شاي الصباح .. وبدأت الاحاديث تدور حول العوائل ومواسم العمل القادمة .. ولم يشارك علي في هذه الاحاديث ، بل ظل مستمعا .. كان فكره مشغولا بذلك الصندوق ، وكان الهم الذي يثقل

رأسه هو الا يكتشف أحد من البحارة مكان هذا الصندوق الثمين .

وسأل أكبر البحارة سنا :

ـ ما الذي يشغل فكرك ياعلي ؟

لم يباغت علي بهذا السؤال . انما أدار رأسه ببطء الى هذا البحار العجوز وقال :

ـ لا شيء .. كنت أستذكر الماضي

ـ عندما عملت بحارا ؟

ـ نعم

ـ ذكريات مليئة بالمتاعب

ـ ولكنها جميلة

ـ لانك ابتعدت عنها .. وعلى أية حال ، لقد عدت اليها

وهز علي رأسه موافقا .. هل يدري هذا البحار العجوز أي مهمة يقوم بها .. أو الاصح أية مهمة يقوم بها جميع هؤلاء البحارة على هذه السفينة القديمة ؟ .. ان عدم معرفتهم سيجعلهم يقومون بها على أكمل وجه .. ولم يكن علي من أولئك الشبان الذين لا يبالون أمام الاحداث .. انه يتوقع الكثير

من المتاعب .. وأولها أن تبقى هذه الرياح الرخية حتى يصلوا الى البصرة .. ان توقف الرياح يعني انزال السارية.. وحين تنزل ستقع الكارثة أو المشكلة التي لا يريد لها أن تقع .

ترك البحارة الخمسة وسار الى مقدمة السفينة، وهناك جلس على قاعدة المرساة .. كان النهر يمتد امامه الى البعيد ، وكانت الامواج ترتطم بالشواطىء فتحدث ضجيجا مستمرا ، لكنه ضجيج تعود عليه البحارة . وتساءل علي وهو ينظر الى سارية الشراع : هل أنجح في هذه المهمة الكبيرة ؟ .

— ٣ —

ابتعدت السفينة كثيرا عن مدينة العمارة . كانت تتهادى في منتصف النهر الذي تراصفت بساتين النخيل على ضفتيه .. كانت النوارس تطير قرب السفينة وتحلق حول شراعها .. وبعد فترة شاي الصباح توزع البحارة في أماكن متفرقة من سطح السفينة ، الا النوخذة الذي ظل متمسكا بالدفة .

انتهى علي من عمله الذي خصص له ، فنزل الى الغرفة الصغيرة في مقدمة السفينة . ولم يكن أحد من البحارة في الغرفة . وحين تأكد انهم بعيدون عنه اخرج حقيبته الصغيرة وتفقد محتوياتها .. كان اهم شيء عنده هو التأكد من مسدسه الذي زوده به النقيب .. أخرجه وقام بتنظيفه بسرعة ، ثم أعاده

الى مكانه .. كانت الاوامـر التي صـدرت اليه أن يبقى يقظا أطول فترة من الليل والنهار ؛ لذلك قـرر ان ينام في النهار ، ويظل ساهرا طوال الليل ، فمهنته القديمة علمته أن المفاجآت لا تحدث للسفن الشراعية الا في الليل . ترك الغرفة وذهب الى النوخذة الذي لايدير رأسه عن اتجاه النهر .. وبعد أن جلس الى جانبـه قـال :

— لم نقترب بعد من انعطافات النهـر

— مازالت الانعطافات بعيدة .. ربما سـنصلها عنـد العصر .

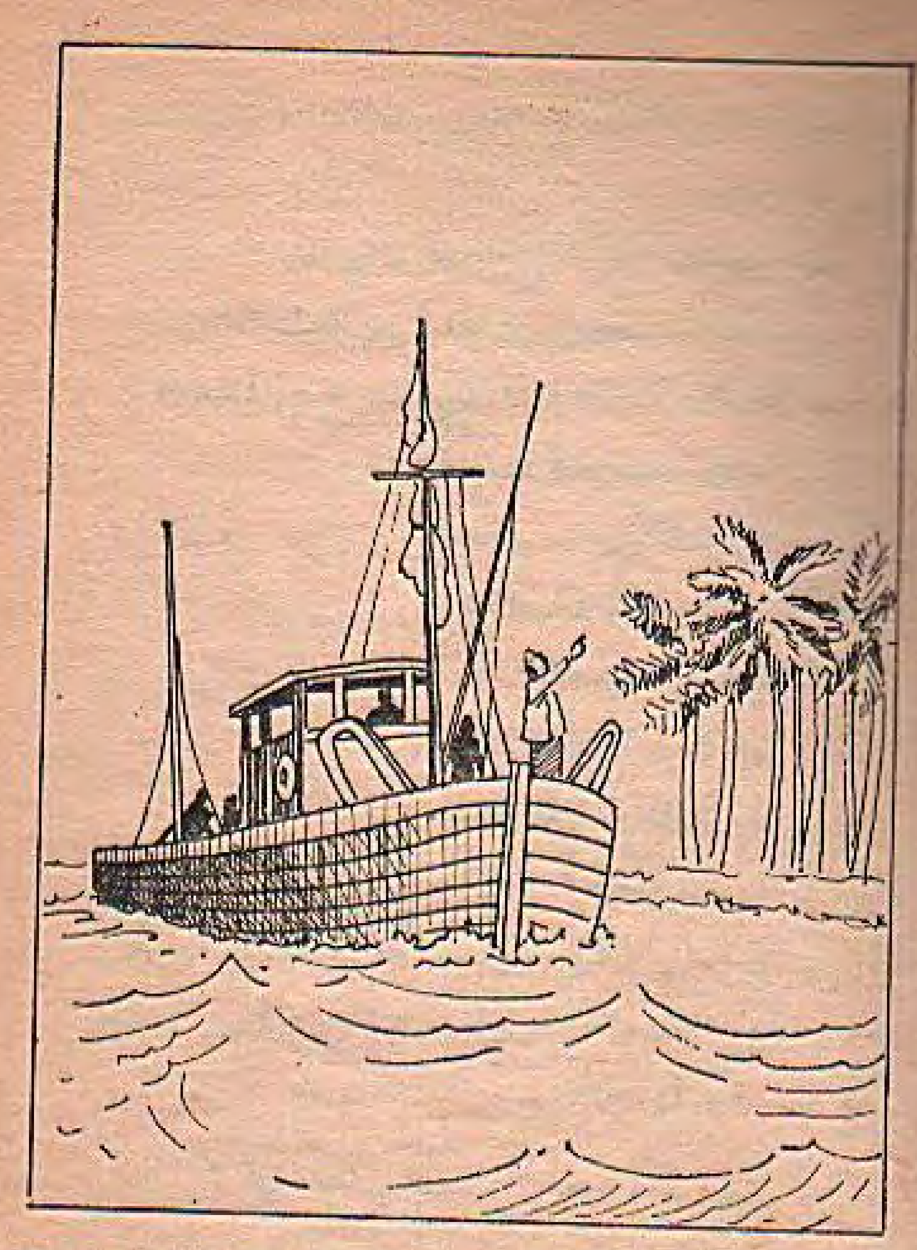
— واذا سقط الليل علينا ولـم نصلها ؟

— أنت بحار مجرب وتعرف جيدا اننا لن نخاطر بالسير عبر هذه المنعطفات في الليل مهما كانت الرياح بطيئـة .

هذا الامر يعرفه علي جيدا .. ولم يطرح هـذه الاسئلة الا مقدمة لحديث اخر .. قال :

— من من البحارة سيظل حارسا ؟

— البحارة يتناوبون على الحراسة طوال الليـل



كانت تتهادى في منتصف النهر الذي تراصفت بساتين النخيل على جانبيه

ـ أنا قليل النوم في الليل ، لذلك سأسهر مع الحراس جميعا •

نظر النوخذة الى علي طويلا ، ثم قال :

ـ يبدو اننا محظوظون جدا بمرافقتك لنا

ـ اذا كان كذلك فهذا شيء مفرح لي أيضا •

ثم أضاف بعد وقفة قصيرة :

ـ هل تملكون سلاحا ؟

فأجاب النوخذة قائلا :

ـ نملك بندقية صيد

ـ انها كافية لابعاد اللصوص •

ـ هل تعتقد ذلك ؟

ـ أليست كافية ؟

ـ في العام الماضي تعرضنا لسلبٍ مسلح من قبل مجموعة من اللصوص بين قلعة صالح والعزير • ولم تنفع البندقية في ابعادهم •

ـ كيف ؟ •• هل استعملتم البندقية ؟

وسمع الاثنان صوتا من جانبهم يقول :

ـ كان الحارس يغط في نوم عميق ، وقد سقطت

البندقية منه في حوض السفينة الاوسط .. ونحمدالله ان اللصوص سرقوا حمولة الطماطة ولم يسرقوا البندقية .

وضحك النوخذة قائلا :

ـ أنت ملعون ياكريم

وسأل علي :

ـ ومن كان الحارس ؟

فأجاب كريم قائلا :

ـ أنا ياعلي

وأدار ظهره للنوخذة وعلي واتجه الى مقدمة السفينة . سيطرت الدهشة على علي فسأل النوخذة:

ـ هل ما قاله صحيح ؟

ـ نعم

ـ ويعترف بذلك ؟

فقال النوخذة :

ـ أنت لا تعرف بحارتي .. انهم من الرجال الشجعان .. لقد مضت سنين كثيرة ونحن نعمل معا ولقد قاتلنا الكثير من اللصوص ، والكثير من

بحارة السفن الاخرى حين تندلع بيننا المشاكل ، أنا أعرف بحارتي جيدا ، انهم شجعان ، وأكثرهم شجاعة هو كريم .. انه يقول ذلك كعقاب لنفسه لانه نام في تلك الليلة ، وسرق اللصوص كل شيء ..

توقف النوخذة عن الكلام قليلا ثم أردف قائلا:

ـ أقول لك ياعلي انني حمدت الله كثيرا لان كريم نام في تلك الليلة

فقال علي بدهشة :

ـ حمدت الله ؟

ـ نعم .. لانه لو كان مستيقظا لقتل عشرة أو أكثر من أولئك اللصوص .. وأنت تعرف ماذا ستكون النتائج ..

فقال علي :

ـ أنا ، لا يروق لي أن يسرقني اللصوص . ولسوف أقتل منهم المئات اذا ما حاولوا سرقة السفينة

ـ تقتل المئات ؟ .. بماذا ؟ .. ببندقية الصيد التي نحملها معنا ؟

ـ كلا .. بمسدسي

ـ هل تحمل مسدسا ؟

— نعم ، وهو الان في حقيبتي

ابتسم النوخذة وقال :

— اذن ، أصبحت سفينتي من السفن الحربية ..

توقف عن كلامه ثم أضاف :

— اطمئن ، ان اللصوص لن يسرقوا طابوقك .. ماذا يفعلون به ؟.. ثم اننا لا نحمل الكثير من النقود ؟ .. هل تحمل الكثير من النقود ؟

— لو كنت أحمل الكثير من النقود لما عملت معكم بحارا .

في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر بدأت تباشير المتاعب بالظهور ، فالسفينة القديمة بدأت تجنح قليلا الى اليسار ، وسمع البحارة احتكاكا خفيفا لقاعها بقاع النهر .. وعندئذ قفز الجميع الى العمل .. كان كريم أول من ركض حاملا عامود الغطس الى مقدمة السفينة . وكان النوخذة والبحارة يعرفون مناطق النهر جيدا .. وبدأت الاشارات تتوالى سريعا بين كريم والنوخذة الذي اخذ يدير الدفة الى اليسار ببطء .. وتركت السفينة منتصف النهر الى يمينه

قريبا من الضفة .. كان العمق هناك كافيا لسير هذه السفينة الكبيرة .. وتعاون البحارة جميعا على دفعها الى ذلك الجانب بواسطة المجاذيف الطويلة ..

كان على النوخذة أن يظل متيقظا لاشارات كريم وعمود الغطس الذي يستخدمه باستمرار ، فالسير بسفينة كبيرة قرب ضفة النهر مغامرة لاتحمد عقباها .

ومرت فترة طويلة الى أن عادت السفينة الى منتصف النهر .. لقد تهادت مرة اخرى وهي باسطة شراعها الكبير . وعندئذ شعر الجميع بالراحة .. وحين انطلق دخان التنور في مقدمة السفينة شعر الجميع بالجوع . الا ان ذلك الجوع لم يمنع البحار جاسم من الغناء .

- ٤ -

بدأ اليوم الاول مليئا بالعمل ، فالسفينة القديمة رغم بطئها الا انها قطعت مسافة ليست بالقليلة . لقد تعاونت الرياح الرخية وتيار الماء على دفعها بدون مخاطر .. ان تلك المناطق الضحلة من النهر لم تشكل عقبة ذات خطورة ، فهؤلاء البحارة الخمسة يعرفون النهر ومناطقه معرفة جيدة ، لذلك كانوا يتعاونون جميعا من أجل أن لا تجنح سفينتهم عن الممرات المائية العميقة ، وكان سالم ماهرا في القيادة ، انه نوخذة يجيد عمله .

وبعد تناول طعام الغداء انتشر البحارة في أرجاء السفينة ، ورمى جبار ، وهو أكثر البحارة مرحا ، ثلاثة أكياس شبكية في النهر بعد أن ربطها الى حافة السفينة .. وصاح عليه كاظم من الجانب الاخر :

ـ هل تأكل سمكا في العشاء ؟

فرد عليه جبار بصياح أعلى :

ـ ان الله وحده يعلم ماذا سنأكل في العشاء .

كانت عينا النوخذة لا تفارقان امتداد النهر ، الا انه يرى في الوقت ذاته جميع ما يجري فوق سفينته العتيقة .. لف سيجارة وأشعلها .. وتذكر انه لم يطل مقدمة السفينة كما قرر في نهاية الرحلة الاخيرة .. كم من السنوات مرت عليه وهو يمتطي هذا النهر ؟.. انه لايذكر متى ركب سفينة لاول مرة ، لقد عمل مثل غيره من البحارة أجيرا فوق الكثير من السفن الشراعية .. بيد ان الحظ ابتسم له يوما واشترى هذه السفينة ، ولم تكن جديدة ، بل ذهب نصف عمرها . وتعاون معه بحارته الاربعة خلال سنوات طويلة .. انهم الان أشبه بعائلة واحدة .. عائلة من الشجعان الذين جابوا النهر صعودا وهبوطا وغاصوا في أهوار العمارة والبصرة مطاردين بشراعهم الكبير رزقهم ..

هل كانت حياتهم مريحة ؟.. ان ذاكرة النوخذة

سالم مليئة بكل الاحداث التي أصبحت الان من الذكريات الجميلة ، حتى تلك الاحداث التي حطمت الاعصاب في وقتها .. العمل في السفن الشراعية مغامرة قد تنتهي بلاشيء ، ففي الصيف يهبط مستوى الماء وتصبح الملاحة تعبا مهلكا .. وعلى البحارة أن يسحبوا السفينة بالحبال ، وفي الشتاء تقف الاخطار أمام أشرعة السفن ، فالنهر والرياح والسفن الكثيرة وانعطافات النهر ، كلها مخاطر تطرق رؤوس البحارة، وخاصة أولئك الذين يقودون مثل هذه السفينة القديمة ، ثم هناك اللصوص الذين يعرفون كيف يهاجمون هذه السفن البطيئة .

وانتبه النوخذة على صياح وشتائم جبار .. وسأل علي من الجانب الاخر من السفينة بصوت عال :

ـ ماذا حدث ياجبار ؟

فرد جبار بصوت أعلى :

ـ أنها أكياسي الشبكية ..

وترك الكلام وهو ينفخ .. ابتسم النوخذة وهو

ممسك بالدفة بقوة .. وأضاف جبار قائلا :

ـ لم تمسك سوى الجري وأبي الزمير .. انه فأل سيء .

اهتزت الدفة تحت ابط النوخذة ، وتوترت أعصابه .. ياله من طالع غريب يتحدث به هذا البحار المرح .. ماذا يعني ؟ .. كان النوخذة يتحدث مع نفسه بهذه الكلمات .. وارتفع طرفه الى الشراع الكبير الذي حدبته الرياح الرخية .. وطمأن نفسه ان هذا الكلام لا يعدو المزاح .. لف سيجارة ثانية بأصبع مرتعشة ، وأخذ يدخن بعصبية .

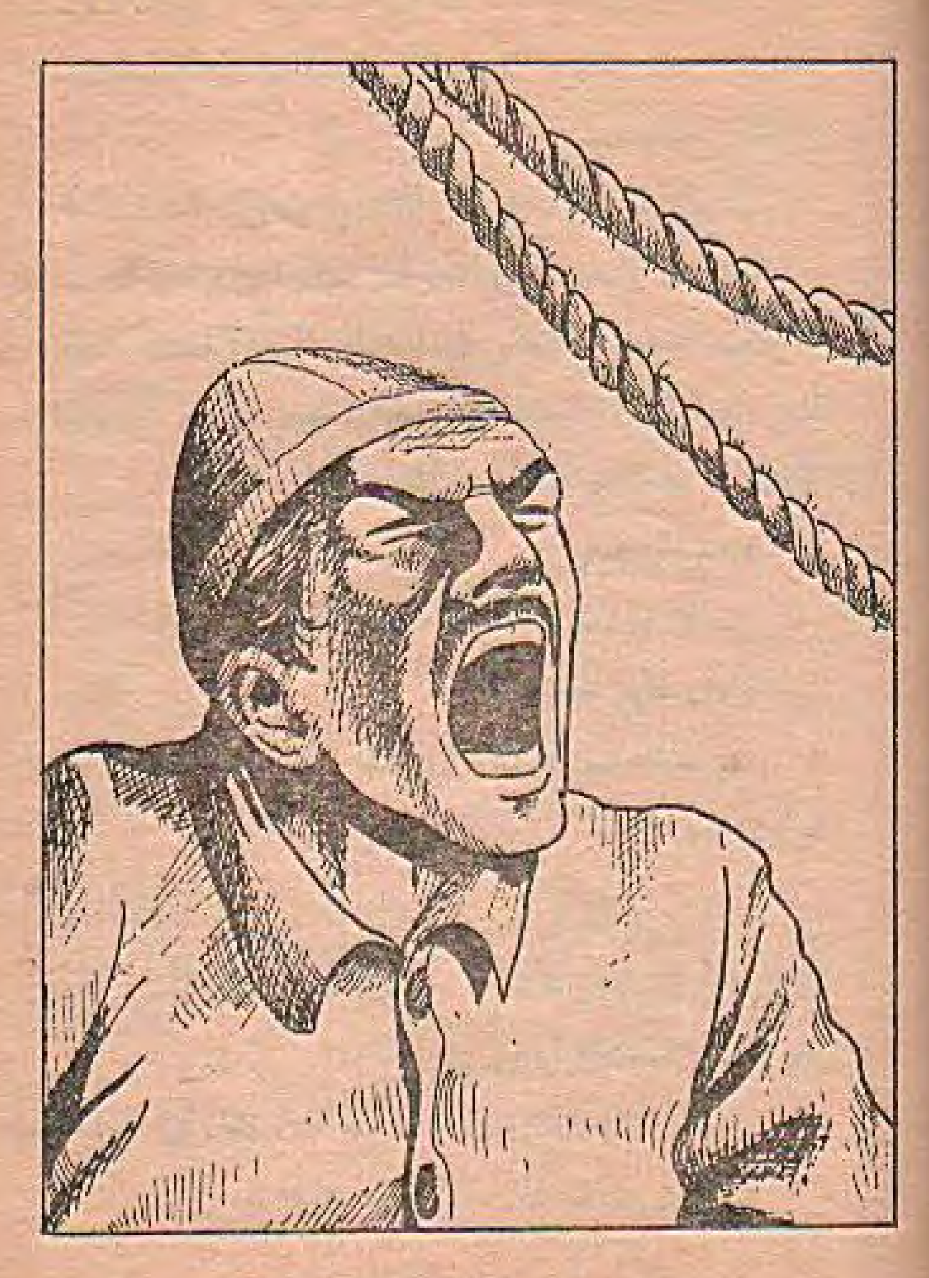
جلس علي فوق قاعدة المرساة وكلمات جبار لم تبرح سمعه .. هل هناك متاعب في الطريق ؟ .. انه بحار قديم ويعرف هذه المهنة جيدا ، ويعرف كذلك مايرافق هذه الرحلات الطويلة البطيئة من الاخطار والمتاعب .. ولم يكن في السابق يقلق أمام هذه الهواجس .. لكنه الان يرتعش امام مثل تلك الكلمات التي نطقها جبار .. لماذا ؟ .. ألأنه مكلف بمهمة خطيرة فوق هذه السفينة ؟ .. كان علي يرفض

الاجابة على هذا السؤال • ونظر الى السارية التي تهتز اهتزازا خفيفا فوق قاعدتها ، وتمتم بكلمات غير مفهومه •

قفز علي من فوق قاعدة المرساة على صرخه مدوية•• وأخذت السفينة تتمايل ببطء أولا ، كانت الصرخة قد أطلقها كاظم :

ـ انتبه أيها النوخذة •

هل نام النوخذة ؟ •• كيف لم ير سفينة بخاريه صغيرة ربط الى جانبها صندل كبير •• وقفز جبار من مكانه راكضا الى حيث النوخذة ، وكذلك فعل علي •• وحاول النوخذة بكل ما يمتلك من قوة ان يحرف سفينته الشراعية عن اتجاه تلك السفينة المسرعة نحوه •• هل هي اللحظة القاتلة التي كان يخشى منها باستمرار وهي الا تصطدم سفينته العجوز بسفينة بخارية ؟ •• ان الوقت لم يعد يمتلك متسع لمثل هذه التساؤلات •• الان ، عليه هو وبحارته أن يصارعوا ضد موت السفينة التي يمنطونها • وتعاون الثلاثة على دفع الدفة الى أقصى اليمين بسرعة ••



كانت الصرخة قد اطلقها كاظم

ولقد نجحوا في ذلك ، الا ان السفينة الثقيلة كانت تنحرف ببطء شديد .. وصرخ كاظم وهو يتجه راكضا اليهم :

ـ ماذا تفعلون ؟ .. لماذا لا تتحرك السفينة ؟

اهتزت السارية وانحرف الشراع وتحركت العتلات لتخفف التوتر في الحبال التي أخذت تضغط على السارية .. وبدأت الدفة تقاوم قوة الرجال الثلاثة ، وارتفع صوت المياه فوقها .

وصرخ جبار :

ـ لا تدفعوا هكذا .. ستتحطم الدفة

وقال علي بحنق :

ـ لتذهب الدفة الى سقر .. سنصطدم عما قريب .

وتصبب العرق من الرجال .. في هذا الاثناء انضم كاظم الى الرجال الثلاثة .. وتبعه جاسم الذي كان يقول بين لحظة وأخرى :

ـ اذا ما اصطدمت السفينة فان تنوري سيتحطم

وفي كل مرة كان جبار يرد عليه :

ـ تنورك ؟ .. اين ...

ويصرخ النوخذة بالجميع آمرا :

ـ كفوا عن هذا الكلام الـذي لامعنـى له ..
انتبهوا .. السفينة ستعترض النهر ..

لم تستطع السفينة البخارية أن تخفف من سرعتها لكن ربانها استطاع أن ينحرف بها قليلا عن السفينة الشراعية .. ومرت بالقـرب منها ، فتبـادل بحـارة السفينتين الشتائم واللعنات .

وحين ابتعدت السـفينة البخاريـة ، كان علـى النوخذة وبحارته الخمسـة أن يصارعوا ضد غرق سفينتهم العجـوز .

كان البحارة يعرفون جيدا انهم الان سيخوضون صراعا مريرا مع النهر وضفتيه ، وخاصة ان حمولـة سفينتهم ثقيلة جدا .. ان البطء الذي تحركت فيـه السفينة في البداية أخذ سرعته الان يساعده في ذلك الشراع المبسوط ، واضافة الى ذلك أخذت السفينة بالترنح لان السـفينة البخارية أثارت مياه النـهر

فأصبحت أمواجا عالية تتوالى واحدة وراء الاخرى بسرعـة .

كان على البحارة أن يتفادوا اصطـدام جانـب السفينة بضفة النهر .. ان هذا يعني انقلابـها علـى جانبها .. وصرخ النوخذة :

ـ اسحبوا الدفة حتى تستعرض السـفينة على النهـر .

كان صراعا مريرا لاولئك البحـارة مع الدفـة ، خاصة وهم يرون سفينتهم تندفع بسرعة نحو الضفة .

وازداد انشداد أعصاب البحارة حين أخـذت السـفينة ترتفع وتهبط بقوة وسرعة ، وصر النوخذة على أسنانه وهو يرى سفينته في صراعها المرير مـع المياه والاصطدام الذي سيقع وشـيكا .. كانت السفينة قد استعدلت مقدمتها .. وصاح علي :

ـ امسكوا الدفة جيدا .. ان السفينة سـترتد الـى الوراء ..

وصرخ جبـار :

ـ واذا صعدت على اليابسـة ؟

ونهره النوخذة :

ـ ألا تكف عن هذا الكلام ..

كانت رجة قوية جدا ، تمايلت على أثرها السفينة تمايلا مخيفا .. ها هي أمواج جديدة يضيفها التمايل .. وشد الرجال على الدفة ، ثم أخذ النوخذة يميل بها تدريجيا نحو اليمين فانحرفت السفينة بسرعة الى اليسار خلال ارتدادها .. كان البحارة يعرفون ان هذا العمل هو المطلوب الان ، والا فان السفينة ستصطدم بالضفة الثانية .. وجنحت السفينة على جانبها الايسر ، وبدأت بالتمايل على جانبها .. وكان أمل البحارة أن تستعيد السفينة وضعها مع اتجاه النهر .. ومرت لحظات عصيبة جدا تخللها خوف كبير من أن تأتي في هذا الاثناء سفينة بخارية أخرى .. وأخيرا هدأت السفينة العجوز فوق سطح النهر .. وزفر الجميع وهم يرون سفينتهم تتهاوى مع التيار . وفقد النوخذه أعصابه وصرخ :

ـ لن أحمل طابوقا بعد هذه الرحلة .

ثم وجه الحديث الى جبار قائلا بنفس الحدة :

ـ وعليك أن لاتتنبأ بالفأل السيء مرة اخرى .

وفي هذه اللحظات خرج كريم من الغرفة في المقدمة وهو يلعن :

ـ ماذا كنتم تفعلون ؟.. ألا يستطيع أحد النوم في هذه السفينة ؟

كان النوخذة على وشك أن يرمي نفسه في النهر ، لكنه تمالك أعصابه .

— ٥ —

هل توالت أحـداث اليـوم الاول عن طريــق المصادفة ؟.. ان النوخذة سالم سيظل لزمن طويــل يفكر في هذا السؤال .. وبطبيعة الحال ، لن يجـد الجواب الاكيد.. بعد ذلك التخبط الذي دمر أعصاب الجميع ، توزع البحارة على سطحي السفينة الامامـي والخلفي.. كانت أنفاسهم متقطعة ، لذلك تمـددوا جميعا ، ماعدا النوخذة الذي ظل متشبثا بالدفة ، وهو ينظر بعينين نصف مغمضتين الى النهر أمامـه .. ان هذا النوخذة الشجاع لم يتخلص بعد من حالة الخوف والاضطراب التي لفته قبل ساعة ، فالسفينة العتيقة هي كل ما يملكه في هذه الدنيا ، وليس من السهل ، علـى أية حال ، أن يرى ما يملكه يغوص أمامه في النهـر .

ولعن الطابوق والسفن البخارية التي تهدد سـفينته باسـتمرار .

ويبدو ان النوخذة قد تملكته حالة الخوف تلك الى الدرجة التي لم ينتبه فيها الى ان النهـر بـدأ في انحناءة طويلة .. كانت هذه الانحناءة هي الاشـارة الواضحة لجميع البحارة في نهر دجلة على الانعطافـات الكثيرة المتتالية والقصيرة . وانسابت السفينة الشراعية القديمة مع انحناءة النهر الكبيرة بهـدوء .. غير ان مفاجأة كانت في انتظار النوخذة والبحارة المتمددين فوق سـطحي السـفينة .

قبل أن تميل الشمس الى الغروب انفتح الشراع حتى أقصاه ، واهتزت السارية اهتزازات قوية، وصرت صريرا عاليا على قاعدتها .. ولم تنفـع العتـلات في تخفيف الضغط ، بل توترت الحبال الى الحد الاقصى. كان أول من تنبه الى هذه الحالة هو علي الذي لـم تفارق عيناه السارية وهو ممد على سطح السفينة ..

ــ ماذا حدث ؟ .. هل نام النوخذة ؟

هذان السؤالان تبادرا الى ذهنه وهو يرى تبدل

سرعة الرياح .. رفع رأسه فوجد النوخذة ممسكا بالدفة الا ان جسمه لا تبدر منه أية حركة .. وفجأة صرت السارية صريرا عاليا ، عندئذ قفز من مكانه وصاح بالبحارة المتمددين :

ــ انهضوا .. لقد ازدادت سرعة الرياح ..

حتى النوخذة تنبه على صوت علي ، ويبدو انه غطس في نوم خفيف .. وتعاون الجميع على انزال الشراع الكبير .. وفي هذا الوقت العصيب صاح النوخذة بهم من مكانه :

ــ اسرعوا .. اننا نقترب من الانعطافات المتتالية.

تجمد البحارة في أماكنهم ، ونظروا الى الامام ..

كانت الانعطافات قريبة منهم ، وتساءل كريم :

ــ هل يكفي الوقت لاستبدال الشراع ؟

لم يكن أحد من البحارة يمتلك الجواب .. غير انهم يعرفون جيدا ان السفينة بسرعتها هذه ستصطدم باحدى الضفتين في أحد المنعطفات بدون ريب .. وعاد كريم يسأل :

ــ لماذا لا نرمي المرساة ؟

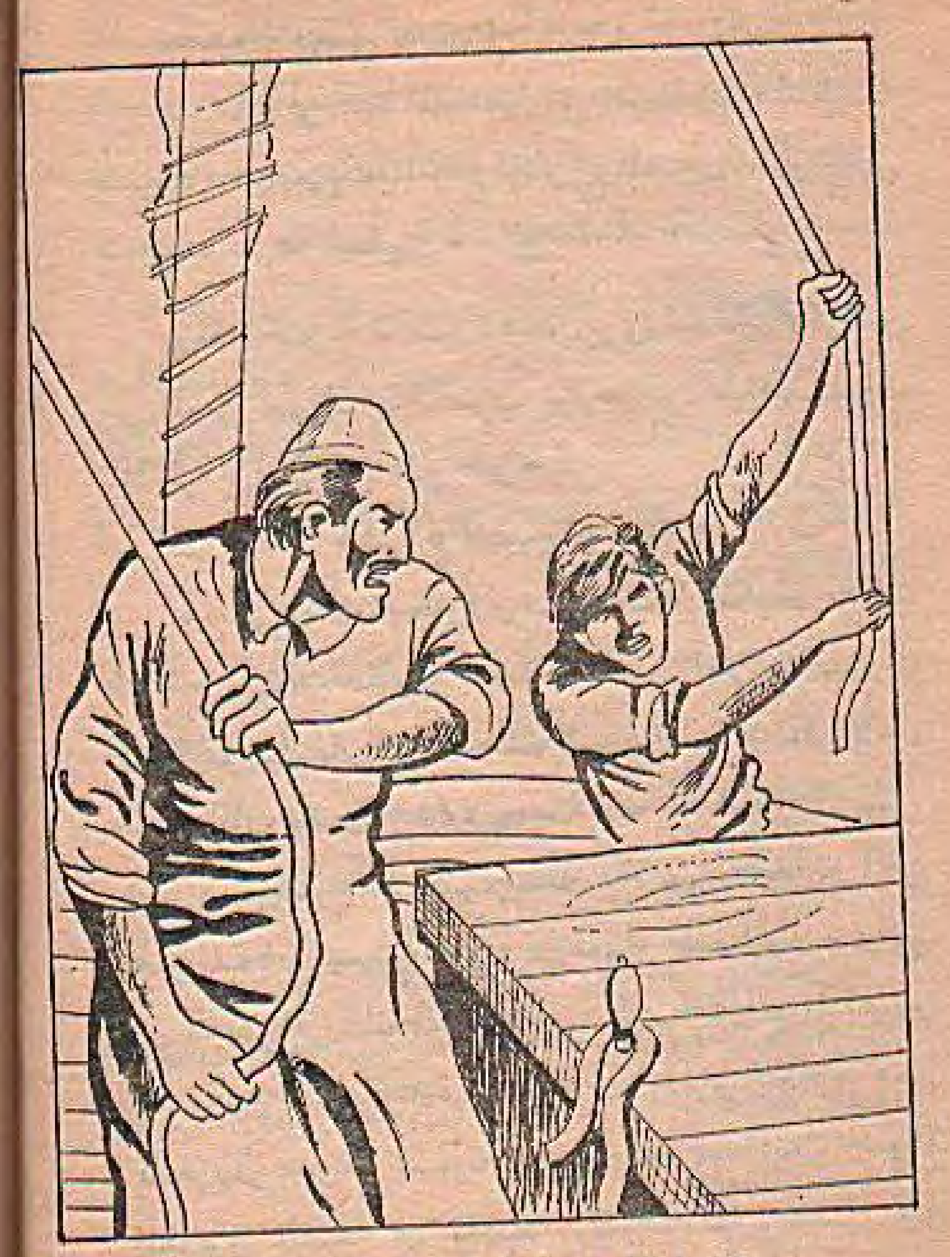
فقال علي بحنق :

ــ هذه فرصتنا للتخلص من المنعطفات المتتالية بسرعة .. ينبغي علينا رفع الشراع الصغير ، فهو كفيل بتخفيف سرعة السفينة .

وفقد النوخذة صبره وهو يرى البحارة متوقفين عن العمل ، والسفينة تقترب بسرعة من المنعطفات المتتالية ، فصرخ بأعلى صوته :

ــ ارفعوا الشراع الصغير بسرعة .

وتعالى لهاث البحارة وهم يسحبون الحبال . كانت الرياح تشتد باستمرار ، وكان نصف الشراع مازال معلقا فوق السارية . ودخلت السفينة في المنعطف الاول الذي كان قصيرا جدا ، بحيث فقد البحارة توازنهم ، فيما رمى النوخذة ثقل جسمه كله على الدفة . أيقن النوخذة ان سفينته غارقة لا محالة هذه المرة . وقبل أن يدخل الى المنعطف الثاني ، كان الشراع الكبير قد تكوم قرب قاعدة السارية .. وزفر الجميع وهم يشعرون بسرعة السفينة وهي تهبط وساعدت حمولة الطابوق الثقيلة في تخفيف السرعة كثيرا وعدم



ارفعوا الشراع الصغير بسرعة

انقــلاب الســفينة على جانبهــا الايمــن ، الا ان الخطر مازال يحوم حول هذه الســفينة العتيقة •

تحولت خبرة البحارة الخمسة الى أعمال سريعه في هذه اللحــظات العصيبــة •• أخرجــوا الشراع الصغير ، وأداروا الحبال في العتلات الصغيرة ، ثـم جذبوا الحبال بكل ما يمتلكون من قوه، لكن الرياح السريعة جدا عرقلت عملهم كثــيرا •• في المنعــطف الثالث ترنحت السفينة ، وعندئذ ترك جاسم قاعــدة السارية وركض لمساعدة النوخذة الذي لم يــعد يستطيع السيطرة على الدفة وصر النوخذة علــى أســنانه :

ـ أهذه هي نهاية الرحلة ؟

وحين وصل اليه جاسم كانت الدفة على وشــك أن تقذف به بعيدا • وتعاون الاثنان على جعل هــذا المقود أن يستقر ، ومن ثم يتحكمان به من أجــل الخروج بالسفينة بسلام من هذه المنعطفات الخطرة•• ورآى جاسم الدموع تتلالا في عيني النوخذة فأدار وجهه الى الناحية الاخــرى •

وصفرت الريح صفيرا مزعجا ، وما عاد أحد من البحارة الاربعة الذين يكافحون عند قاعدة السارية يسمع أحدهم الاخر ، الا انهم كانوا يعرفون ماذا يفعلون .. عليهم أن يرفعوا الشراع الصغير بأي ثمن .. وعلى الرغم من امتلاء عيني النوخذه بالدموع، فانه كان يراقب البحارة الاربعة في صراعهم مع الحبال والرياح .. كان الشراع الصغير يرتفع ببطء شديد ، في الوقت الذي تسير فيه السفينة القديمة في المنعطفات المتتالية ، وهي تكاد تحتك بالضفاف .

ولم يستطع النوخذة احتمالا .. قال :

ـ هل ننجح ؟

فأجابه جاسم :

ـ لقد مررنا بهذه المنعطفات الاف المرات .

ـ ليس مع هذه الرياح السريعة

ـ ان بحارتك رجال شجعان.. لسوف ينجحون في رفع الشراع الصغير

وأخيرا استقر الشراع الصغير في منتصف

السارية كما أراد له البحارة الاربعة .. ثبتوا الحبال حول العتلات في قاعدة السارية بحيث يتحرك الشراع مع اتجاه الريح .. وحين انتهوا من ذلك اندفعوا جميعا الى مؤخرة السفينة ، الى النوخذة وجاسم .

الآن ، بدأ الصراع الكبير بين الرياح ومنعطفات النهر وبين البحارة وسفينتهم العتيقة ، فالشراع الصغير قلل كثيرا من السرعة ، لكنه لم يبعد الخطر . واذا كان النوخذة والبحارة ماهرين في قيادة السفينة عبر المنعطفات ، فان الهاجس المخيف الذي سيطر عليهم جميعا هو ملاقاتهم لسفينة بخارية .. ان هذا الامر يعني الغرق لامحالة .

لقد مرت ساعات عصيبة ، وظروف أكثر صعوبة على هؤلاء البحارة الشجعان فوق هذه السفينة ، لكن الخوف لم يسيطر عليهم بهذا الشكل .. كان النوخذة يرتجف وهو يمسك الدفة بكل قوته . ولم يكن يعرف اذا ارتجافه كان بسبب الرياح الشديدة الباردة أم بسبب الخوف .

وكذلك كان شعور البحارة الاخرين ، ماعدا علي الذي هزه الخوف هزا ، وسيطر على فكره الفشل في مهمته الكبيرة التي اختاره الضباط الكبار من أجل ادائها • غير ان هذه المشاعر سرعان ما اختفت ، وحل محلها الاصرار على الكفاح ضد الرياح الشديدة وضفاف النهر التي ارتفعت ، فأصبحت أكتافا عالية تهدد بالخطر الشديد • وفجأة صاح النوخذة :

ـ استخدموا المجاذيف الطويلة ضد أكتاف النهر •

فقفز كاظم وجبار وعلي بعيدا عن الدفة •• وتهيأوا الى العمل • كان أولئك الرجال الشجعان يقاتلون أكتاف النهر بعصيهم الطويلة لكي لا تقترب السفينة كثيرا من تلك الاكتاف • ولم يكن ذلك بالعمل اليسير ، فكثيرا ما كانوا يسقطون على ظهورهم بسبب سرعة السفينة • ولكن بسالتهم تدفعهم للعمل مرة ثانية •

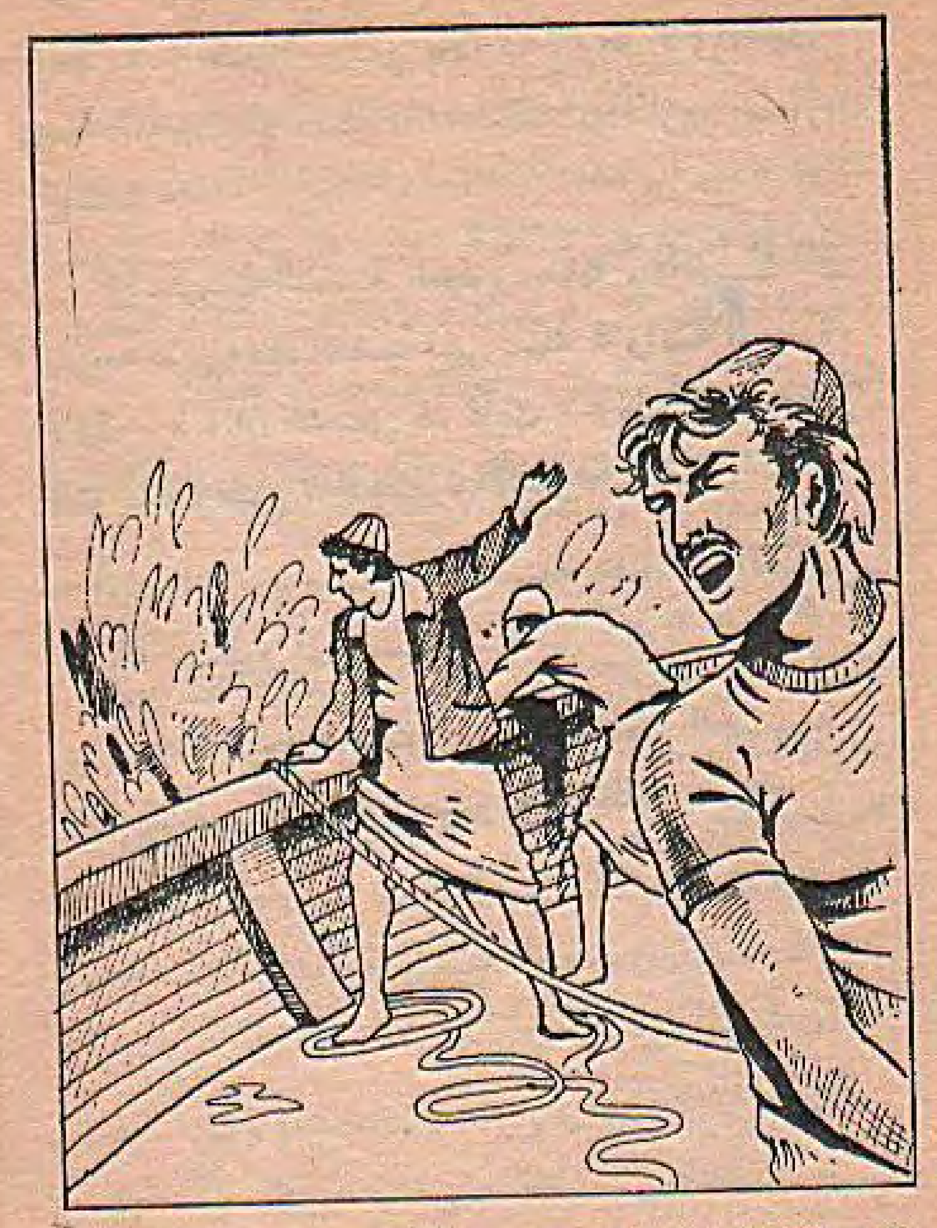
كانت السفينة العجوز أشبه بالمجنونة وهي تندفع في منعطفات النهر • وكان النوخذة هو الوحيد بين

هؤلاء الرجال الذي يسمع صرير ألواحها، وكان ذلك يعصر قلبه عصرا • وشعر بالارتياح وهو يرى النهر يمتد أمامه ثانية باستقامة • وتهللت أسارير البحاره أيضا ••

واستردت السفينة العجوز عقلها ، فانسابت سريعة فوق المياه الفضية لنهر دجلة • واتنبه البحارة، لاول مرة ، ان الشمس قد غابت • ونظر البحارة الى النوخذة ، ففهم تلك النظرة المشتركة ، فقال :

ـ انها رياح سريعة ، لنستفد منها الى أقصى مسافة نستطيع أن نصلها •

وعاد البحارة يتمددون على سطحي السفينة ، وهم يسمعون الرياح تصفر بلا انقطاع •



كانت السفينة العجوز اشبه بالمجنونة وهي تندفع في منعطفات النهر

ــ ٦ ــ

قبل أن يسقط الظلام ، أعطى النوخذة أوامـره بالتوقف ، فتحامل البحارة على أنفسهم ، وتجمعوا ثانية قرب قاعدة السـارية ، ويبدو ان للتوقف سحرا خاصا ، اذ اندفعوا للعمل بنشـاط كبير .. سـقط الشراع بين أقدامهم ، وبعد أن لفوه توجهوا الـى المرساة .. كان النوخذة قد نجح في اقتراب السفينة من الساحل المنبسط ، وحين رفع يده ، رمى الرجال المرساة الى النهر ، وسمع الجميع صوت ارتطامها بالمياه ، ثم بدأت بالغوص ساحبة وراءها السلسلة بسرعة .. وانتظر البحارة ارتدادت السفينة قبل وقوفها ،.. ولم تمر سوى ثوان حتى ارتدت السفينة، ثم توقفت فتنفس النوخذة والبحارة بارتياح .

ربط النوخذة دفة السفينة بالحبل ، وترك مكانه ودار في أرجاء السفينة • بعد ذلك نزل الى الساحل، واستطلع الارض بعينيه حتى مسافات بعيدة • كانت الارض خالية من البساتين ، وطمأن البحارة فيما بعد ان هذه الليلة ستمر بسلام دون أن يتعرضوا الى هجمات اللصوص • لكن كريم علق قائلا :

— لا شيء يقف أمام اللصوص أيها النوخذة ، وربما هذا هو المكان الجيد الذي يعمل فيه اللصوص •

— كيف ؟

— لاننا سننام معتقدين ان البساتين بعيدة عنا•• وهكذا يزورنا اللصوص •

شعر النوخذة ان بحارته أسوأ مجموعة من البحارة في العالم ، فهم لايتنبأون الا بالمصائب • وجاء صوت جبار من الجانب الاخر غاضبا هادرا :

— لا يسقط في أكياسي الا الكلاب

وتساءل جاسم متصنعا الدهشة :

— كلاب ؟ •• هل اصطدت كلابا ؟

— نعم •• وماذا تقول عن الشلنج ؟

— انه كلب ابن ستين كلب

— ولكنك ستأكل ابن الستين كلب هذا

هل نسى البحارة المتاعب والاخطار التي واجهوها خلال نهار اليوم ؟ •• ان من يبحث عن جواب هذا السؤال سيجده عند النوخذة من دون ريب •• وسيقول اذا ما سئل :

— الاخطار والمتاعب هي الحياة الحقيقية للبحارة•

لم تهدأ الريح ، بل ازدادت هبوبا ؛ ومع ذلك استطاع جاسم أن يوقد تنوره ويصنع الخبز للبحارة المتعبين •

* * *

قبل أن يأوي البحارة الى النوم أوقد النوخذة الفوانيس الثلاثة المعلقة في المقدمة والوسط والمؤخرة• وتكوم البحارة في الحجرة الامامية •• لم يكن أحد منهم يرغب بالحديث أو اللعب ، كما يحدث في جميع الرحلات • كان التعب قد هد أجسامهم • وسأل أحدهم وهو بين النوم واليقظة :

ـ هل تمطـر الليلة ؟

فقال النوخـذة :

ـ السماء مليئة بالنجوم ، وليست هناك غيمـة واحـدة .

وبعد حوالي الساعة ارتفع غطيـط البحـارة . كان النوخذة يسمع وقع أقدام علي وهو يتجـول فوق ظهر السفينة .. وفكر : هذا الفتى البحـار السابق لا يخشى شيئا .. وهو الان يقوم بالحراسة ... وفجأة ، جلس النوخذة في فراشه . هذا الفتى يحمل مسدسا .. ووضع رأسه بين يديه وتسـاءل بصـوت خافـت :

ـ سيجلب المصائب الى رأسي ..

ثم أضاف بحنق :

ـ لن أحمل طابوقا مرة أخرى .

لم يكن كلامـه هـذا بالعزاء الذي يبعث على الاطمئنان ، وعندئذ ترك الغرفة وصعد الى سـطح السفينة . وبحث بعينيه عن علي في الظلام ، وأخيرا رآه جالسا على قاعدة المرساة ، وتمتم :

ـ ياله من مكان مثالي لحراسة سفينة .

اقترب منه وحياه بصوت واطىء ، ثم جلـس قبالته .. ولم يطل الصمت بينهما ، بل قال النوخذه بسرعـة :

ـ أنت تعمل معنا لهذه الرحلة فقـط .. أليس كذلـك ؟

ـ نعـم

ـ اذن ، اياك أن تستخدم السـلاح ضـد اللصوص .. وأنت تعرف ذلك جيدا .

ـ ماذا أعـرف ؟

ـ أنت تعرف ان هؤلاء اللصوص ينتمون الى العشائر كثيرة العدد وتجيد القتال .. أنا لا أريـد أن أدخل في متاعب مع هذه العشائر ..

توقف النوخذة عن الكلام قليلا ثم أضاف :

ـ نحن لانترك اللصوص وشأنهم حين يهاجموننا .. اننا نقاتلهم بالهراوات والايدي ، واذا اضطررنا الى استخدام السلاح ، فاننا نطلق في الهواء فـوق الرؤوس .

ـ أعـرف ذلك

ـ اذن ، ستفعل ذلـك .

وبعد هذا الحديث القصير عاد النوخـذة الى الحجرة والاطمئنان يملأ قلبه . وعلى سطح السفينة المظلم الا من أضواء الفوانيس الثلاثـة الخافتة كان علي يفكر في مهمته التي يجب أن ينجزها مهـما كلف الثمن ، حتى لو اضـطر الى اسـتعمال السـلاح . وصفرت الريح بشدة ، وكان علي يوقـد الفوانيس بين فترة وآخرى ، والا فـان السـفينة سـتتعرض للاصطدام بالسفن البخارية التي تبحر ليلا .. وكانت أمنية علي ألا تتوقف الريح عن الهبوب في صـباح اليوم التالي ، وظل علي حتى الفجر دون أن تغمض لـه عين .

ـ ٧ ـ

رفعت المرساة ، وكذلك الشراع الصـغير ، فالريح لم تخفف من سرعتها .. وانطلقت السـمينة العجوز بحمولتها الثقيلة وهي تأن أنينـا .. وقـال جبار معلقـا :

ـ أرجو ألا تقفز المسامير بعيدا عن الالواح .

فأنبـه كاظم قائـلا :

ـ لتغلق فمك لئلا يسمعك النوخذة .

ولم يكن النوخـذة ليتسـامح عن مثل هـذه التعليقات . كان الشراع الصغير يخفق في مكانه على منتصف السارية . وتجمع كريم وجاسم وجبار قرب النوخذة الذي يمسك الدفة ، فيما كان كاظم يتفقـد أحواض السفينة ، أما علي فقد غط في نوم عميق ني

الحجرة .. ان هذا الجزء من الرحلة سار بدون متاعب ، وعند الظهيرة لاحت بنايات قلعة صالح .. وتبادل البحارة نظرات الارتياح ، اذ ان الرحلة تبدو سريعة جدا على الرغم من الحمولة الثقيلة ..

كان على النوخذة والبحارة أن يتيقظوا وهم يصلون الى مدينة قلعة صالح .. اذ ان ضفتي النهر مليئتان بالسفن البخارية والشراعية والجنابث والقوارب الكبيرة والصغيرة .. ان اي اصطدام يعني عدة كوارث ستصيب السفن الراسية في هذا المكان . لذلك سارع البحارة الى انزال الشراع قبل أن يصلوا الى المدينة من أجل أن يخففوا السرعة .

وانسابت السفينة العجوز ، على الرغم من الريح الشديدة ، باتزان بين تلك المجموعة من السفن الراسية . والى جانب سفينة شراعية أخرى توقفت بعد أن ربطت بالحبال الغليظة الى قاعدة مرساة السفينة الاخرى .

وتبادل بحارة السفينتين التحيات فيما بينهم . وقال أحدهم مخاطبا النوخذة :

ـ يالحظكم السعيد

ـ لماذا ؟

ـ لانكم لن تتوقفوا طويلا بسبب حمولتكم .

وتدخل علي الذي استيقظ قبل قليل قائلا :

ـ ما الامر ؟

ـ انهم يفتشون جميع السفن تفتيشا دقيقا .

ـ لماذا ؟

هكذا سأل النوخذة ، فأجاب بحار السفينة الاخرى قائلا :

ـ لست أدري .. والامر الغريب ان رجال الشرطة تفتش مع رجال الجمارك .. لابد انهم يبحثون عن شيء ما .

ارتعش علي الا انه تماسك وقال :

ـ سفينتنا تحمل الطابوق فقط .

فقال البحار :

ـ هذا هو حظكم الحسن .

* * *



سارع البحارة الى انزال الشراع قبل ان يصلوا الى المدينة

عادت الشكوك تلف النوخذة مرة أخرى •• وتذكر المسدس الذي يحمله علي فتسارعت دقات قلبه • ماذا لو عثرت الشرطة على هذا المسدس ؟•• ألا يمكن أن يكون علي قد قتل شخصا ما ، وانه هو من تبحث الشرطة عنه ؟ •• بيد أن هذا الفتى لاتبدو عليه امارات الشر •• شعر ان رأسه بدأ يثقل بسرعة•• وعلى الجسر الاوسط اصطدم بالبحار جاسم فانفجر عليه بوابل من الكلام الحاد • ولم يعد يحتمل أكثر، فذهب الى حيث يقف علي في مقدمة السفينة•• قال:

ـ هل تحمل رخصة لمسدسك ؟

ـ كــلا

هذه مصيبة ، لو عثرت عليه الشرطة فسنذهب جميعا الى التوقيف•• عليك أن تتخلص منه أو تخفيه

فابتسم علي وقال :

ـ لا تقلق •• لقد أخفيته جيدا •

فزخر النوخذة قائـلا :

ـ أرجو الا تقع في أيدي الشرطة •

انتظر النوخذة والبحارة وقتا طويلا حتى وصل رجال الجمارك والشرطة الى سفينتهم .. بحثوا في أرجاء السفينة بحثا دقيقا .. رفعوا عدة مداميك من الطابوق في حوضي السفينة ، ونظروا تحتها .. دققوا في كل شيء .. كانت نظرات الشرطة تتصفح وجوه البحارة طويلا . ووجهوا أسئلة كثيرة الى النوخذة ، والى البحارة أيضا . طلبوا أوراق السفينة، ووصولات دفع الضرائب عن السفينة . كان النوخذة يمتثل للاوامر وهو في دهشة كبيرة ، فهذه أول مره تجري فيها الامور بهذا الشكل . وبعد أن فحص المفوض أوراق الحمولة سأل النوخذة .

ـ هل تحمل الطابوق لاول مرة ؟

ـ نعم

ـ لماذا ؟

ـ لانه لاتوجد حمولة أخرى ، وكانت السفينة متوقفة عن العمل فترة طويلة .

وبعد أن توقف تساءل النوخذة :

ـ هل نقل الطابوق من الممنوعات .

فقال المفوض بسرعة :

ـ لا .. ولكن .. هل سفينتك هي الوحيدة التي تحمل الطابوق من العمارة الى البصرة ؟

ـ هناك أكثر من خمس سفن أخرى

فبانت علامات الارتياح في وجه المفوض وحين ترك رجال الشرطة والجمارك السفينة تساءل علي بدهاء :

ـ ماذا كان يعني بسؤاله عن نقل الطابوق ؟

فأجاب النوخذة وهو يضرب جانبي فخذيه بكفيه قائلا :

ـ الله وحده يعرف ذلك

وأضاف جبار قائلا :

ـ ورجال الشرطة يعرفون أيضا .

واتجه النوخذة الى الدفة دون أن يقول شيئا ، ففهم البحارة ، وعندئذ اندفعوا الى قاعدة الشراع .

- ٨ -

ابتعدت السفينة الشراعية كثيرا عن قلعة صالح. كان النوخذة والبحارة ينظرون بقلق الى الشراع الصغير الذي يخفق بقوة على السارية . ان خبرتهم تؤكد لهم ان الانواء ستنقلب ضدهم ، وستسبب لهم المتاعب .. ولم يمض وقت طويل حتى جنت الريح ، وأصبحت بدون اتجاه .. كانت تدور في دوامة سريعة جدا . اكفهرت وجوه البحارة أمام هذا الانقلاب المثير للنكد . وشعر الجميع ان السفينة تورطت مع هذه الريح المجنونة أسرع ثلاثة منهم الى قاعدة الشراع . ويبدو ان الانواء قررت أن تحارب هؤلاء البحارة وسفينتهم الشراعية العجوز، اذ ادلهم الجو وهطل المطر غزيرا .

وتبادر الى ذهن النوخذة انسفينته غارقةلامحاله هذه المرة . وعلق جبار بصوت ارتفع على صوت الريح :

ـ سيمتص الطابوق ماء المطر كله ، وسنذهب مع السفينة الى قاع النهر .

وارتعد النوخذة وشتم جبار شتما مرا . ثم صرخ :

ـ غطوا أحواض السفن

ان العمل الذي قام به أولئك الرجال في ذلك العصر لا يمكن أن يوصف الا بالعمل الجبار . فقد أنهك البحارة أجسامهم تحت المطر والريح وهم يسحبون الاغطية الثقيلة التي سرعان ما امتصت ماء المطر ، فازداد ثقلها .. كانوا يسيرون ويتقافزون على جسور الاحواض الزلقة ، وسقطوا في الاحواض أكثر من مرة . ولم يكن ذلك ليثير خوفهم ، انما كان الخوف من السقوط في النهر . وبعد متاعب كثيرة بدت السفينة بساريتها العارية وسط ذلك الجو المكفهر كالحة تثير الشفقة ..

ورأى البحارة الدموع تتألق في عيني النوخذة .

ربما علي هو البحار الوحيد من بين أولئك البحارة الذي لم يستطع تقدير مشاعر النوخذة تجاه سفينته.

فجأة ، اهتزت السفينة اهتزازا قويا ، وصرخ البحارة والسفينة تجنح قليلا الى اليسار .. وارتفع صوت كريم :

ـ احذر .. المياه ضحلة

استمرت السفينة في الجنوح الى اليسار.. وتمتم جاسم بصوت غير مسموع :

نجح البحارة في تغطية أحواض السفينة الثلاثه .

ـ اذا ما جنحت السفينة أكثر من هذا ، فإن الله وحده يستطيع اعادة توازنها مرة ثانية .

هل فقد البحارة أعصابهم وخبرتهم ؟ .. كانت تلك لحظات مشحونة بالهلع .. وفجأة صرخ النوخذة :

ـ ارموا المرساة الى الجانب الاخر .

وفعل البحارة ذلك سريعا جدا الى درجة أدهشت النوخذة .. ويبدو ان ذلك كان حلا ناجحا ، فالسفينة عادت الى توازنها وألواحها القريبة من

عدة المرساة تطلق صريرا .. وأطلق البحارة فرات كبيرة .

لم يتوقف المطر عن الهطول . وتفقد البحار ضفة النهر .. وشعر الجميع بالخوف من هذه الارض المكتظة بأشجار النخيل .. مسح النوخذة وجهه من ماء المطر ، ونظره لم يفارق النخيل .. قال.

ـ أرجوا ألا يزورنا اللصوص هذه الليلة .

غير ان ذلك الرجاء لم يتحقق . فعند منتصف الليل سمع علي الذي يقوم بالحراسة وقع أقدام خافتة تتقدم اليه من الجانب الاخر من السفينة . استيقظت جميع حواسه .. وتأهب لملاقاة زائر منتصف الليل هذا .. صاح :

ـ من ؟

ورأى على ضوء الفانوس الخافت رجلا ملثما يحمل بيده خنجرا طويلا . كانت المسافة قليلة بينهما ، الا انه استطاع أن يسحب مسدسه ويطلق عيارين ناريين فوق رأس اللص . وعلى الضوء الشاحب رأى علي ثلاثة لصوص يقفزون من السفينة الى الضفة

ويختفون بين أشجار النخيل • وعاود علي اطـــلاق النار فوق قمم الاشجار امعانا في تخويف اللصوص •

وفجأة ، انطلقت رصاصة بندقية من مؤخـــرة السفينة باتجاه البستان أيضا كان البحارة قد تركوا الحجرة الصغيرة ، وتوزعوا على سطح الســـفينة • وتساءل كاظم وهو يتقدم نحو علي وبيده البندقية :

ـ ماذا حدث ياعلي ؟

وقال علي وهو يضغط على أعصابه :

ـ ثلاثة لصوص كانوا على سطح الســفينة •• أحدهم كان على وشك مهاجمتي بخنجر طويل

ـ وهل جرحتــه ؟

هذا ما قاله النوخذة وهو يصل اليهما •• أجاب علـي قائــلا :

ـ كـلا •• أطلقت النار فوق رأسه •

فقـال النوخذة :

ـ الحمـد للـه

وتســاءل علـي :

ـ هل يعودون ؟

ـ لوجرحت أحدهم فسيرجعون الينا بعدد أكبر ويقتلون أحدنـا •

وأضاف النوخذة بعد قليل قائلا .

ـ لنحرس جميعا •• لا أريد أن يسقط أحـد قتيلا في هذه الليلة المشؤومة •

-٩-

توقف المطر عند الفجر . وتوقفت الريح أيضا . فامتعض البحارة . ولم يبق أمامهم سوى أمرين : انتظار هبوب الرياح أو سحب السفينة . ونظر البحارة الى الطابوق الذي يملأ أحواض السفينة الثلاثة .. وصاح جبار :

ـ عليك اللعنة ياعلي .. ألم تجد غير الطابوق شحنة لسفينتنا ؟

ورد علي :

ـ وبماذا أبني بيتي ؟

وقرر النوخذة أن تسحب السفينة خوفا من مهاجمة اللصوص في وضح النهار ، خاصة وان المكان مقفر ، ولم تمر بهم أية سفينة . رفع الشراع الكبير ،

وربط الحبل بمقدمة السفينة . ونزل الى الضفة كاظم وكريم وعلي . وحين رفعت المرساة ، كانت مشقة البحارة الثلاثة كبيرة جدا في زحزحة السفينة من مكانها .. لقد تعاون معهم جاسم وجبار وحتى النوخذة . تحركت السفينة بتثاقل كبير في الدقائق الاولى ، ولكن حين اندفعت الى منتصف النهر ساعد التيار في دفع السفينة أسرع من الاول .. وتهاوت السفينة العتيقة بشراعها الكبير الذي لم تمسه الريح .. وفجأة صرخ النوخذة :

ـ من أمر برفع الشراع ؟

ولم يتلق جوابا ، فانطلق منه سيل من الشتائم واللعنات ، ثم قال :

ـ ليست هناك رياح .. ان الشراع يؤخر سير السفينة .. انزلوه بسرعة .

وتعاون جاسم وجبار على انزال هذا الشراع الذي بدا لهما كبيرا جدا ، وثقيلا جدا .

* * *

انطلقت السفينة أسرع بعد انزال الشراع. الا ان سرعتها لم تكن بتلك السرعة التي ترضي البحارة . ولم يعد بوسع كاظم وعلي وكريم أن يغنوا أغاني البحارة كما فعلوا في بداية جرهم للسفينة ، الان ، بات تنفسهم لهاثا عاليا، وتسلل الاعياء الى مفاصلهم. كانت الاجراف مليئة بالاشواك والعاقول والشجيرات التي تعرقل تقدمهم . وقرر النوخذة ان يستبدل اثنين منهم بجاسم وجبار . وعلق جبار قائلا .

ـ لو كان أبي يعلم انني سأجر سفينة بهذا الحجم لما تزوج أمي .

وقال كريم وهو يصعد الى السفينة :

ـ لو لم يتزوج أمك لفعل حسنا .

وصاح النوخذة :

ـ ألا تتركون المناكدة ؟

* * *

لم تعد رحلة السفينة متعة للبحارة .. كانوا يتساقطون على الاجراف بين ساعة وأخرى . وشعر بعضهم انه لا يستطيع المواصلة ، غير ان هذا الشعور لم يكن غريبا عليهم ، وكثيرا ما ينتابهم خلال الرحلات المتعبة . وتوقفوا أكثر من مرة في هذا اليوم للراحة أو لتناول وجبات الطعام .

وعند العصر وصلوا الى ناحية العزير .. وقال النوخذة مخاطبا علي ..

ـ هل أخفيت المسدس جيدا ؟

ـ حتى الشيطان لا يستطيع أن يجده .

في العزير ازدادت دهشة النوخذة وبحارته . فالتفتيش أصبح مثيرا للاعصاب .

اندفع شرطة الجمارك والشرطة المحلية ورجال بملابس مدنية.. فتشوا السفينة شبرا شبرا.. سألوا النوخذة كثيرا ، وكذلك فعلوا مع البحارة . ولم يحتمل النوخذة فسألهم :

ـ ما الامر ؟

فرد عليه أحدهم بخشونة قائلا .

- نحن الذين نسأل ولست أنت .

واحتج النوخذة :

- ولكنكم قلبتم سفينتي رأسا على عقب

وعاد ذلك الرجل قائلا :

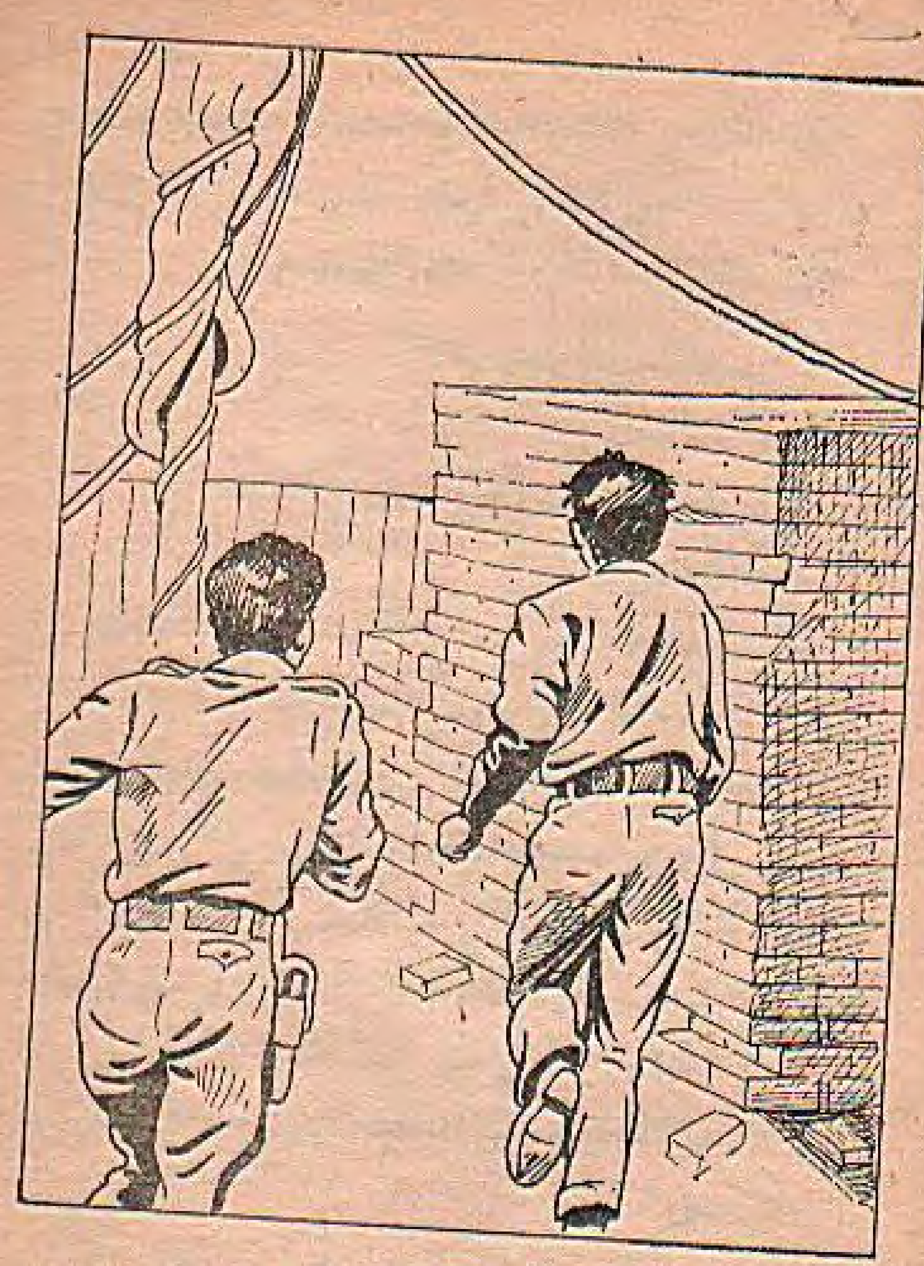
- ونستطيع أن نغرقها لك ونرميك أنت وبحارتك في السجن .. لا أريد أي سؤال .. هل فهمت ؟

وأجاب النوخذة بخوف :

- نعم

بعد أن ترك رجال الشرطة والجمارك السفينة قرر النوخذة والبحارة أن يبيتوا هذه الليلة في أنعزيز ، فليس من الحكمة مواصلة الرحلة والليل على وشك السقوط . اضافة الى ان البحارة متعبون جدا ولارياح تدفع الشراع . كانت تلك الليلة فرصة ذهبية لشراء الطعام الجاهز من مطاعم المدينة .. وهكذا أكل البحارة الكباب والتكة ..

وقبل منتصف الليل بقليل هطل المطر ، فلعن جبار جميع سفن العالم الشراعية وغير الشراعية ..



اندفع شرطة الكمارك والشرطة المحلية ، فتشوا السفينة شبرا شبرا

كان الحارس لتلك الليلة في الحجرة الصغيرة مع البحارة يحتسي الشاي ، حين سمع الجميع وقع أقدام على سطح السفينة .. فقال النوخذة .

ـ لا أحد يتحرك

وقال علي :

ـ انهم لصوص

فقال النوخذة :

ـ كلا .. انهم يفتشون السفينة ثانية معتقدين اننا نيام .. تظاهروا بالنوم جميعا .

وفعل البحارة ما أمر به النوخذة . وبعد وقت ليس بالطويل سمعوا الاقدام تقترب من الحجرة ثم تهبط السلم الصغير . وسكنت حركة القادم الذي يبدو انه قلب نظره في الحجرة العارية الا من البحارة الذين تمددوا بشكل مثير للضحك . وأخيرا رحل القادم من الحجرة ومن السفينة أيضا . وقال نوخذة بحنق :

ـ ماالذي يبحثون عنه ؟

ولم يسمع اجابه على سؤاله ..

- ١٠ -

هل أدار الحظ ظهره للسفينة الشراعية وبحارتها؟ .. هذا السؤال لم يخطر بذهن النوخذة ، ولا في أذهان البحارة ، فمهنة الملاحة فيها المرارة ، وفيها الحلاوة ، لذلك لا أحد يندب الحظ العاثر .. المهم ان السفينة العتيقة تواصل رحلتها حاملة شحنة الطابوق ، بيد ان القلق هو الذي سيطر على النوخذة ، ما الذي تبحث عنه الحكومة ؟ .

وكان علي هو الاخر قلقا ، وهو يعرف السبب في تفتيش السفينة .. هل شكت السلطات الانجليزيه بهذه السفينة ، ويطمئن نفسه بأن رجال الحكومة يقومون بتفتيش جميع السفن .. ولكن السؤال الذي يعذبه هو : هل ينجح في مهمته ؟ ... ان الشجعان

وحدهم الذين لا يبحثون عن الاجوبة ، انما يخوضون المغامرات من أجل أن ينجزوا الاعمال العظيمة .

في الفجر تحركت السفينة مواصلة الرحلة . وبعد العزير يتسع نهر دجلة ، ويصبح التيار قويا ، لكن الرياح كانت معاكسة .. وهكذا بدأ الرجال بسحب السفينة الثقيلة . ولم تحدث المفاجئات في هذا الجزء من الرحلة .. كان التعب هو الذي سيطر على الرجال الذين تحدوا الرياح المعاكسة ، وأوصلوا السفينة الى مدينة القرنة عند العصر .

* * *

في عصر هذا اليوم خضعوا لتفتيش مثير للاعصاب .. فقد دخل السفينة عدد كبير جدا من الرجال ، وقلبوا محتويات السفينة بحثا وتنقيبا .. ولم يكتفوا بذلك ، بل أخذوا النوخذة والبحارة الى مركز الشرطة . هذه المرة عصف القلق بعلي .. ماذا سيحدث في السفينة ؟ .. وحين قال ذلك للنوخذة أجابه :

– أعتقد انهم سيفككون السفينة

– مــاذا ؟

– سيقومون بالتفتيش دون أن ننظر اليهم

– عليهم اللعنة . والطابوق ؟

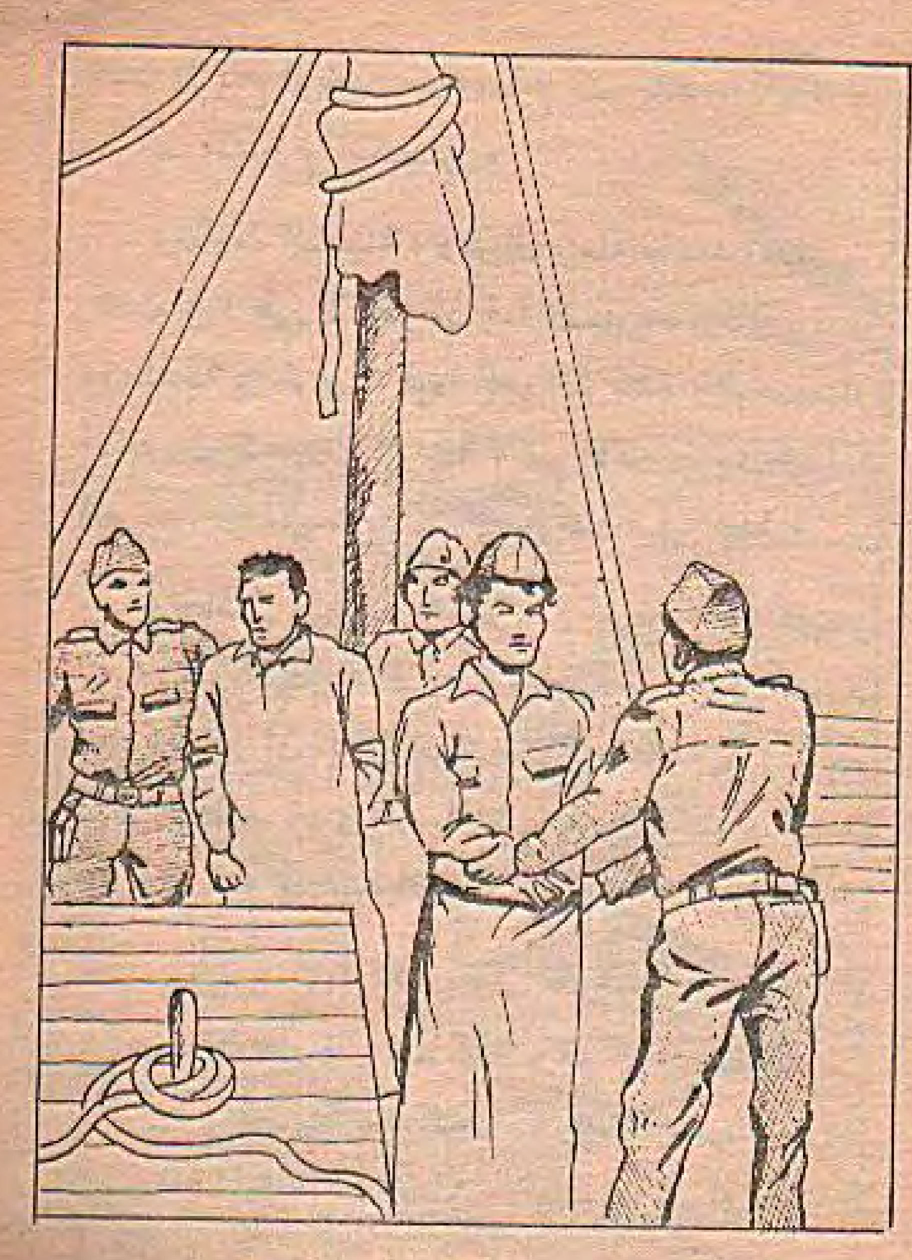
– أتمنى أن يرموه في النهر

* * *

في صباح اليوم التالي أطلقوا سراحهم . وحين وصلوا السفينة رأوا ما لم يروه سابقا في حملات التفتيش .. كانت الاحواض الثلاثة تضم أكبر فوضى يراها البحارة ، فمداميك الطابوق تحولت الى أكوام بلا نظام .. كل شيء في السفينة تغير مكانه ماعدا قاعدة السارية . وقال النوخذة وهو يضرب جانبي فخذيه بيديه :

– لو واصلنا الرحلة فان السفينة ستغرق بعد ثلاثين مترا ..

وانشغل البحارة في اعادة تصفيف الطابوق .. وكان ذلك نوعا من الحظ الحسن ، فعند الظهيرة



ولم يكتفوا بذلك بل اخذوا النوخذة الى مركز الشرطة

هبت الرياح الرخية .. وصاح النوخذة بجذل :

ـ الشراع الكبيـــر .

وتهاوت السفينة ، وطوال رحلة ما بعد الظهـــر ، كانت عينا علي لا تفارقان قمة السارية، وكان يرتعش بين لحظة وأخرى . فيما كان النوخذة والبحـــارة الاخرون يشعرون بالراحة لانهم الان يجرون في شط العرب ، وهذا يعني ان نهاية الرحلة قريبة جدا .

وتحاشى النوخذة بمهارته وخبرته عددا كبيـــرا من السفن البخارية الكبيرة والصغـــيرة التي مـــرت بهم .. غير ان الليل حرك طلائع جحافله . ولم يبق أمام البحارة سوى ارساء السفينة والمبيت ، فهـــذه هي آخر ليلة في هذه الرحلة المتعبة .

* * *

بعد العشاء قال النوخذة وهو يدخن لفافته :

ـ لا أسلحة بعد الان .. ربمـــا ســـنتعرض لمهاجمة اللصوص ، عليكم بالعصي والهراوات .. لا أسلحة نارية .. هل فهمتم ؟



وانشغل البحارة في اعادة تصفيف الطابوق

وكان توقع النوخذة غريبا .. ففـــي منتصف الليل هاجم اللصوص السفينة الشراعية . وكان ذلك الهجوم غريبا جدا ، ولم يحدث لسفينة في نهـــر دجلة .. فاللصوص الذين كان عددهم كبيرا جـدا استعملوا العصى والهراوات أيضا . وجرت معركـة كبيرة أبلى فيها البحارة الستة ، ولكنهم تراجعـــوا قليلا قليلا أمام عدد اللصوص الكبير .. وســقطوا واحدا وراء الاخر مضرجين بالدماء تحت ضربـات الهراوات الكثيرة . ولم يسترجعوا وعيهــم الا في الفجر .. كان أول من رفع رأسه هو علي الــذي أدار رأسه في أرجاء السفينة وهو ممدد على ســطح المؤخرة قرب الدفة .. رأى السفينة وقد عم فيهــا الخراب .. قام بصعوبة على قدميه ، وسار مترنحا. باحثا عن رفاقه البحارة الاخرين.. ووجدهم ممددين في انحاء متفرقة من السفينة .

مع اشراقة الشمس كان البحارة قد انتهوا مــن تضميد جروحهم ولف رؤوسهم التي تحمل أكثر من جرح .. أصلحوا الاشرعة التي مزقها اللصـــوص .

وقال النوخذة وهو يئن من الالم :

ـ ماذا أفعل ؟ .. انظر ياعلي .. اللصوص رموا نصف الطابوق في النهر .

فقال علي والالم يطن في رأسه :

ـ لا تشغل رأسك .. لن أطالبك بشيء

ورفع علي رأسه الى أعلى الساريه وظهرت ابتسامة في وجهه المملوء بالكدمات .

حين انطلقت السفينة مواصلة الرحلة بدت وكأنها هي الاخرى تئن . ولم تتوقف الرياح الرخية عن الهبوب . كان البحارة برؤوسهم الملفوفة بالاقمشة يبدو وكأنهم خرجوا للتو من المستشفى . ومع ذلك فهم فخورون جدا بتلك المعركة التي خاضوها .

وقال كريم :

ـ كانت معركة رائعة

وابتسم البحارة الاخرون زهوا . وحاول جبار أن يتذكر ما اذا كان قد دخل في معركة مماثلة في السابق ، لكنه فشل . وتهللت أسارير الرجال وهم يدخلون مدينة البصرة . وتهادت السفينة العجوز في

شط العرب وقورة مثيرة للاحترام بين السفن البحرية العملاقة . وعند مدخل نهر الخندق ألقت السفينة الشراعية العتيقة مرساتها معلنة نهاية الرحلة المتعبة .

تهافت بحارة السفن الشراعية الاخرى لمعرفة ما الذي حدث لرؤوس زملائهم . ولقد تحدثوا طويلا، وبكثير من الضجيج ، وتعاون الجميع فيما بعد على افراغ ما تبقى من شحنة الطابوق . لكن الغروب كان يحمل المفاجأة الكبرى للبحارة الشجعان .

في ذلك الغروب قال علي :

ـ لننزل السارية

فقال النوخذة

ـ لتذهب الى بيتك سالما .. فالسارية وانزالها من عملنا .

وسمع الجميع صوتا عميقا من الخلف :

ـ افعل ما طلب منك علي .

والتفت البحارة فرأوا الضابط بمعطفه الطويل ومعه الضابطان الآخران ، لم يكن البحارة يعرفون

ان هؤلاء الرجال الثلاثة من الضباط ، فعلي وحـده الذي يعرف ذلك ، وعندئذ ادى التحية لهم • سـقط البحارة في دهشة كبيرة وقال النوخذة :

ــ مامعنى كل هذا ؟ •• هل مازال عقلي معي ؟

فقـال الضابـط الكبير :

ــ نعم •• مازال معك •• انزلوا السارية بسرعة •

أنزلوا السارية كما أمر الضابط الكبير، واندفع علي الى نهايتها ، وهناك رأى النوخذة والبحارة ان شيئا مغلفا بقماش سميك ربط الى تلك النهاية، ومزق القماش بسرعة وأخرج صندوقا حديديا صـغيرا سلمه الى الضابط الكبير الذي تأكـد من محتوياته بسرعة ، وغادر السفينة تاركا البحارة والضابطين •

وقال الضابط برتبة النقيـب :

ــ انكم لشجعان أيها البحارة •• لقد أنقذتـم وثائق في غاية الاهمية وشخصيات عراقيه من الوقوع في أيدي السلطات الانكليزية •• ان الجيش العراقي لن ينسى لكم هذا العمل البطولي •

وغادر الضابطان السفينة أيضا • وقال النوخذة الذي مازال مندهشـا :

ــ هـل قمنـا بذلـك ؟

فقـال علي ضاحكـا

ــ نعم •• ولسـوف أذكركم بخير دائما •

كان البحارة الشجعان ينظرون الى بعضهـم والفرح في وجوههم •• وقال جبار :

ــ اذن ، كنا في معركة مع الانكليز ؟

فـرد علـي :

ــ نعم •• ولقد انتصرنا عليهـم •